

من المسرح العالمي

لا

تأليف : ماكس أوب

ترجمة وتقديم : صالح علماني

مراجعة : د. محمود السيد علي

أول يوليو ١٩٩٣

٢٦٦

تصدر عن وزارة الإعلام الكويت

سلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

سلمان داود الصباح

الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والمعلومات

د. محمد مبارك بلال

عميد المعهد العالي للفنون المسرحية

وسمية الولايتي

مديرة التحرير

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والمعلومات
وزارة الاعلام
ص.ب ١٩٣
الرمز البريدي 13002 الكويت

٢٦٦



من المسرح العالمي

لا



تأليف : ماكس أوب

ترجمة وتقديم : صلاح علماني

مراجعة : د. محمود السيد علي

أول يوليو سنة ١٩٩٣م

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

H.B
28/02/2010

مقدمة بقلم المترجم

درج دارسو ومؤرخو المسرح الأسباني، منذ انتهاء الحرب الأهلية الأسبانية، عام ١٩٣٩، وحتى خمسينيات هذا القرن، على اعتبار فيدريكو غارسيا لوركا هو آخر مؤلف مسرحي كبير، وعلى التأكيد بأن أسبانيا مابعد الحرب الأهلية، أسبانيا بلا مسرح. وربما كانوا محقين في ذلك، لكونهم ينطلقون من مقولة إن المسرح هو العرض المسرحي المجسد، هو خشبته وما يدور فوقها. أما النصوص المسرحية، فهي كتابات إبداعية أدبية، لاتدخل في حساب دارسي المسرح إلا بعد تجسيدها على خشبته. لذلك كانت تفلت من بين أيديهم نصوص على جانب كبير من الأهمية، لم تكن قادرة على الوصول إلى خشبة المسرح بسبب بعض المشاكل المرتبطة بالمضمون أحيانا وبالشكل أحيانا أخرى، فإما أن الرقابة الأسبانية لم تكن تجيز تلك النصوص، أو أن الفرق الأسبانية كانت تبتعد عن تقديمها، وتبحث عن نصوص أخرى «مضمونة»، آخذة بعين الاعتبار البعد التجاري للعرض المسرحي.

كان المسرح الأسباني غارقا في ذلك الحين في تقديم نماذج من الميلودراما المبتذلة، أو تمجيد الانتصار «الفرانكوي»، دون الالتفات إلى مشاكل البلاد أو واقع الشعب الذى حطمته الحرب الأهلية وفي دراسة بعنوان «صورة شعاعية موجزة للسنوات الثلاثين الأخيرة من المسرح» يؤكد الناقد الأسباني خوسيه ماريا دى كينتو[1]:

«كان المسرح - والثقافة بشكل عام - يبدو عند انتهاء الحرب الأهلية وكأنه خرائب ينطلق منها الدخان. فثلاث سنوات من الحرب أودت بكل إمكانية للاستمرار الثقافي».

ثم يتساءل دى كينتو:

«ما الذى كان يقدمه المسرح الأسباني في عقد الأربعينيات؟

» لو أننا تكلمنا حرفيا، لقلنا أنه كان زمن ميلودرامات أدلفو توادو

---

1) Jose Maria de Quinto: Radiografia breve de los ultimos 30 anos de teatro.

الباكيـة، التي وجدت فيهـا البرجوازيـة المبتذلـة عديمـة الثقافـة، عزاء لتسكين ضمائرهـا. ولقلنا كـذلك إنـه كان زمن خـوسيـه ماريـا بيمان، وخوان أغناثيـو لوكا دى تينا، وخـواكين كالبو سوتيلـو، وبعض تلاميذ بينـابينتي، ممن كـانوا يكتبـون مـا يمكننـا أن نسميه « مسرح الانتصـار» ، حيث السعي الحثيث لإحلال البطولـة محل الواقع . . . لقد كان مسرح منـاسبات، يخلـو من الجدية، ليس على المستـوى الفني وحسب، وإنما على المستوى الفكرى أيضا» .

هكـذا غيبت تلك الحرب، ولسنـوات طـويلـة، هـويـة المسرح الأسباني وشخصيتـه، وساد الاعتقاد بأن عام ١٩٣٩ هـونهاية المسرح في أسبـانيـا. وبقي ذلك الاعتقـاد سائدا حتـى عام ١٩٤٩، عنـد عـرض «مسرحيـة حكايـة سلّم» لأنطونيـو بـويرو بـاييخو، التي فـرضت على الأساتذة أن يعيدوا النظـر، وأن يبحثوا في تلك النصوص التي كُتبت بعد الحرب، ليكتشفـوا أن المسرح الأسبـاني الـذى أصـابتـه صـدمـة الحرب الأهليـة، لم يمت نهائيـا، وأن «ليس كل شيء متعفن في الـدانمارك» على حد تعبير الناقـد الكوبي خوسيه تـريانا. لأن المسرح الأسباني الـذى بدا ميتا، مـالبث أن استرد أنفاسه ليـواصل مسيرته، بخطى ثابتـة، على يد مجمـوعـة من المسرحيين الـذين حملوا على كـاهلهم مهمـة التقـدم وشق الطريق أمامه، سواء في أسبانيا ذاتها أو في المنافي التي حملتهم إليها نتيجة الحرب. وكـان جل هـؤلاء المسرحيين مـن الجيل الـذى عـاش الحرب الأهليـة، شبابـا يافعـا أو طفلا، وعـرف ويلاتها ودمـارها، وتـربى على مشاهدها، ثم عاد مشاهد الحرب العالمية التي تلتها بعد زمن قصير، فلم يعد بوسعه الهرب منها أو تجنب الحديـث عن أهوالها وعواقبها. إلى هؤلاء الكتاب ينتمي ماكس أوب، الذى يضعه الناقد الكوبي خوسيه تريانا في مقـدمـة أربعـة مـؤلفين مسرحيين يطلق عليهـم اسم « أعمـدة المسرح الأسباني المعـاصر» . ففي المختارات التي انتقاهـا تريانـا عام ١٩٧٠ «من

تعيين أكثر من عشرين كاتباً مسرحياً أسبانياً، توصل إلى قناعة «بأن مسرحيين من أمثال ماكس اوب، وأنطونيو بويرو باييخو، والفونسو ساستري، وفرناندو آرابال هم الأفضل بين المسرحيين الناطقين بالأسبانية في أيامنا (٢)».

لقد عرف القاريء العربي - وليس جمهور المسرح - ثلاثة من هؤلاء المسرحيين الـذين نُشرت نماذج من أعمالهم ضمن هـذه السلسلـة، إذ صدرت في السنوات الماضية ترجمات لمسرحيات: القصة المزدوجة للدكتور بالمي، واسطورة دون كيشوت، وحلم العقل لبويرو باييخو، ومسرحيات: فصيلة على طريق الموت، والنطحة، والكمامة لألفونسو ساستري، ومقبرة السيارات، وفانـدو وليز، والشجرة المقدسة، وعطلة الاسكافي والحبل المتهدل لفرنـاندو ارابـال، بينما بقي رابع هـؤلاء الـذين شكلـوا «أعمدة مسرح أسبانيا ما بعد الحرب» مجهولاً لدى القاريء العربي، على الرغم من أنه أكبرهم سناً، وأغزرهم إنتاجاً، حيث يتخطى إنتاجه الأدبي المسرح، إلى الرواية والقصة القصيرة والشعر والمقالة والدراسة الأدبية.

وربما كـان منفـاه المكسيكي البعيـد، الـذي لجأ إليـه بعـد الحرب الأهلية، هـو السبب في بقائه مجهـولاً، ليس لدينـا وحسب، وإنما في وطنه أسبانيا كذلك، حيث لم تنشر أعماله في بلده إلا بعد موت الجنرال فرانكو وعودة الديمقراطية إلى تلك البلاد.

ملامح من حياته وأعماله:

ولد ماكس أوب في باريس، في الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٠٣، لأب ألماني وأم فرنسيـة. وفي عام ١٩١٤، حين كـان في الحادية عشرة من عمره، انتقل مع أبويـه إلى أسبانيـا ـ هربـاً من الحرب العالميـة الأولى - ليستقروا في مدينة بلنسية، ويحصلوا هناك على الجنسيةالأسبانية.

2) Teatro espanol actual: Aub/Buero Vallejo/Sastre/Arrabal-Seleccion y prologode Jose Triana - Instituto del libro, La Habana, Cuba.

وأثناء دراسته الثانوية، في معهد بلنسية، يبدأ الكتابة، باللغة الأسبانية، وليس بلغة أبية أو لغة أمه. فيكتب قصائده الأولى، وبعض التمثيليات المدرسية. ولكنه لا يلتحق بالجامعة بعد إنهاء دراسته الثصانوية، كي يتفرغ لمساعدة والده، الذى كان يعمل في ذلك الحين مندوب مبيعات جوال، فيجوب في عمله هذا، برفقة أبيه، منطقة الشرق الاسباني (ليفانتي) ويتعرف على تفاصيل الحياة فيها.

وفي عام ١٩٢٣، يكتب عمله المسرحي الأول بعنوان «جريمة »(crimen)، وهي مسرحية من فصل واحد. ثم يسافر في العام التالي إلى ألمانيا، ويصبح عليه أن يختار إحدى الجنسيات الثلاث التي له حق التمتع بها، الأسبانية: الجنسية التي اكتسبها مع أبويه بعد ةهجرته إلى أسبانيا، أو الفرنسية جنسية أمه، أو الألمانية: جنسية أبيه. فيختار الجنسية الاسبانية دون تردد «لم يخطر ببالي أن أتردد في ذلك على الاطلاق». وفي تلك السنة بالذات، يكتب مسرحيتين من فصل واحد، هما: «المتشكك العجيب» (EL desconfiado prodigioso) و «قنينة» (Una potellt.

ويستدعى في عام ١٩٢٥ لأداء الخدمة العسكرية، ولكنه يعفى منها بسبب قصور حاد في بصره، فيعود إلى عمله التجاري، ثم يقوم برحلتين إلى فرنسا وروسيا، وينشر عمله الشعرى الأول بعنوان:

«القصائد اليومي» (Cotidianos Los Poemas)

وفي عام ١٩٢٧، تعرض مسرحيته «المتشكك العجيب» مترجمة إلى اللغة الكتلانية. وينشر مسرحية «نرسيس»(Narciso) ، ثم ينشر بعد سنتين من ذلك (في ١٩٢٩) روايته الأولى «جغرافية»(Geografia). وهي أقرب إلى النثر الغنائي منها إلى الرواية»، وعلى حد قول غارثيا دى نورا [٣] الذى يرى أن رواية المؤلف الأولى، بكل ما في كلمة رواية من معنى، هي تلك التي نشرها أوب عام ١٩٣٣ تحت عنوان: «لويس الباريث بيترانيا»

3) Eugenio Garcia de Nora, La novela espanola contemporanea, Madrid, 1962.

(Luis Alvarez Petraana)، وهو الأمر الـذى يؤكد عليه أيضا مؤرخ الأدب الأسبـاني خوان تشـاباس ، الـذى اعتبرهـا أهـم ماكتبـه أوب قبل اندلاع الحرب الاسبانية[٤].

وفي عام ١٩٣٥ ، يصبح ماكس أوب مديرا لمسرح البوهو (Puho) ، وهو المسرح الجامعي في بلنسية . وينشر أثناء ذلك مسرحية كوميديـة بعنوان : «ألاعيب البخيل (٥)» (jacara de avaro). كما يكتب مسرحيتين أخـريين لمسرح البوهـو، تعرضـان في مسرح بلنسية البلـدى ، وهما : «الشقيقان» Las dos hermanasو «بيدرو لوبيث غارثيا» (pedro Lo-pez Garcia وكلاهما من مسرحيات الفصل الواحد .

عند بـدء الحرب الأهلية الأسبـانية ، في تموز (يـوليو) ١٩٣٦ ، يقف مـاكس أوب إلى جـانب الجمهـورية ، مثلـه في ذلك جميع أدبـاء وفنـاني أسبانيـا ومثقفيها . ويعين مديرا لجريـدة الحقيقة(Vwrdad) ، في بلنسيـا حتى عـام ١٩٣٧ ، حيث ينتقل إلى باريس ليعمـل ملحقا ثقـافيا لـدى سفارة أسبانيا هناك . لكنه ما يلبث أن يعود إلى أسبانيا ، ليصبح سكرتيرا للمجلس الوطني للمسرح ، وهـو المنصب الذى بقي يشغلـه حتى نهاية الحرب عام ١٩٣٩ . وخلال السنـة الأخيرة من الحرب يشترك مع أندريه مارلو في كتابة سيناريو وإخراج فيلم سييرا دى ترويل ، المأخوذ عن رواية مارلو (الأمل) .

في عام١٩٣٩ ، ومع سقوط الجمهورية في أسبانيا ، تبدأ مرحلة من أشـد مراحل تـاريخ الشعب الأسباني حلكـة . فمن بقي حيا من فلـول الجيش الجمهـوري المهـزوم ، ينطلق في مـــواكب بـائسـة إلى المنفى ، إلى جنـــوب فـرنســـا ، حيث معسكـرات التجميع والإذلال تنتظـــر أولئك اللاجئين التعســاء . ويُحشر أوب مع آلاف الجمهـوريين في معسكر فيرنِ (Vernet)، ثم ينقل من هناك فيما بعد إلى معسكر الجلفة في الجزائر ـ وهي مستعمرة فـرنسية في ذلـك الحين ـ وأثناء إقـامته في معسكـرات التجميع

٤) Juan CHabas, Literatura espanola contemporanea, La Habana 1952.

٥ ـ خاكارا : نوع من التمثيليات السـاخرة التي عاشت في العصر الذهبي للمسرح الاسباني .

الفرنسية (من أوائل عام ١٩٣٩ وحتى أواخر عام ١٩٤٢) كتب مسرحية «منذ بعض الوقت وحتى الآن» وروايتي «معسكر مغلق» و«معسكر الدم»، هما الروايتان اللتان ستشكلان مع «معسكر مفتوح» و«معسكر اللوز» الرباعية الروائية التي تحمل اسم «المتاهة السحرية»، كما ينشر فيما بعد (١٩٤٤) ديوان أشعار بعنوان «يوميات الجلفة» استلهم قصائده من تجربته ومعاناته في معسكر الجلفة الصحراوي في الجزائر. ويبقى أوب في معسكرات التجميع الفرنسية المخصصة للاجئين الاسبان، حيث «على البشر أن يعدوا أنفسهم ويكرروا العد، أربع مرات في اليوم. يجتمعون ويقفون صفوف منتظمة، ويجيبون: حاضر، حين يسمعون اسمهم»، إلى أن يتمكن في أواخر عام ١٩٤٢، وبمساعدة بعض الأصدقاء، من تأمين هجرته إلى المكسيك. وهناك يقضي بقية حياته إلى أن يتوفى في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٢، ويدفن في المقبرة الأسبانية بمدينة مكسيكو.

لقد كانت المرحلة المكسيكية أثرى المراحل في حياة الكاتب. ففي المكسيك كتب أهم أعماله الأدبية، سواء في الشعر أو الرواية أو القصة القصيرة أو المسرح. إضافة إلى مشاركته النشطة والفعالة في الحياة الثقافية المكسيكية. فقد شغل منذ عام ١٩٤٣ وحتى ١٩٥١ كرسي أستاذ نظرية السينما وتقنينها في المعهد السينمائي، ثم عمل مستشارا بقسم المسرح في أمانة التربية العامة، ثم مساعدا فنيا في اللجنة الوطنية للسينما حتى عام ١٩٤٩، حيث عمل أستاذا منتدبا لنظرية وتاريخ المسرح في الجامعة الوطنية بمكسيكو - وهو الذي لم يحصل على أي تعليم جامعي — وفي عام ١٩٥٥ يحصل على الجنسية المكسيكية، ويزور أسبانيا عام ١٩٦٩، كمواطن مكسيكي، وهي المرة الوحيدة التي زار فيها وطنه منذ أن غادره عام ١٩٣٩.

تلك هي التجربة الحياتية القاسية التي كتب على أوب أن يعيشها.

فيعرف خلالها حربين عالميتين رهيبتين، وحربا أهلية طاحنة، ومعسكرات تجميع مذلة، ونفي مدى الحياة. ليبدع من قلب ذلك العذاب مسرحه الداعي إلى نبذ الحرب واحترام إنسانية الإنسان. وحول تعبير ماكس أوب عن عصره وانفعاله بأحداث نورد مايقوله الكاتب الأسباني ميغيل بايون، تحت عنوان: «لم يكن شاهدا وحسب»:

« كثيرا ما قيل إن التاريخ المعاصر لم يعرف حدثا أريق من أجله من الحبر مثلما أريق حول الحرب الأهلية الأسبانية. لقد تناولت، وستتناول الحرب الاسبانية أقلام مثقفين وأدباء لاحصر لهم، ولكن بين جميع هؤلاء، لانكاد نجد من يتمتع بالغنى والصراحة والمرارة والاندفاع في سبيل الكرامة الانسانية، مثلما نجد ذلك في كل صفحة مما كتبه ماكس أوب. ففي مجموعته القصصية (القصة الحقيقية لموت فرانثيسكو فرانكو)، يتناول الساعات الأخيرة من الهزيمة الجمهورية، ومعسكرات التجميع في جنوب فرنسا وفي القفر الجزائري، ويكتب عن أولئك الذين خسروا الحرب في مواجهة الفاشية، الذين اجتازوا حدود البيرنيه في اضطراب مأساوي، كي لاتداس كرامتهم، وكي لايحنوا رءوسهم، ليبدأوا فيما وراء الحدود السير في طريق من التنكيد والآلام، وليخوضوا نضالا صامتا من أجل البقاء على قيد الحياة[٦].

مسرح أوب:

سنعمد إلى تقسيم مسرح أوب إلى قسمين كبيرين: مسرح ما قبل الحرب الأهلية الأسبانية، ومسرح ما بعد الحرب الأهلية، مع الإشارة إلى أن مرحلة الحرب، التي استمرت ثلاث سنوات، كانت نوعا من المرحلة الانتقالية بالنسبة لمسرح أوب، وإرهاصا بالمرحلة الثانية التي تلت الحرب.

وبالرغم من ان المؤلف يتخذ منهجا آخر في تقسيم أعماله،

---

6) Miguel Bayon: No solo testigo, triunfo, NUM 858, 7 julio 1979, Madrid.

فيجعلها في عشر مجموعات، حسب موضوعاتها. إلا أننا نجد في هذا التقسيم التاريخي الذى نعتمده، تبسيطا يتناسب مع غرضنا في التعريف بالكاتب، دون الخوض في تفاصيل لا يتسع لها المجال في هذه المقدمة، لأن البحث في التفاصيل سيبدو ضربا من الإبهام بالنسبة لقارئنا العربي، بسبب غياب أية فكرة سابقة عن المؤلف، وعدم وجود أية نصوص مترجمة من أعماله.

المرحلة الأولى : قبل الحرب الأهلية :

تضم هذه المرحلة أعمالا مثل (جريمة) ١٩٢٣، (المتشكك العجيب) و (قنينة) ١٩٢٤، و (الغيور وحبيبته) ١٩٢٥، (مرآة البخل) و (نرسيس) ١٩٢٧، و (ألاعيب البخيل) ١٩٣٥.

ويبدو الكاتب في هذه الأعمال موزعا بين الاتجاهات الطليعية التي شاعت في اسبانيا العشرينات، والميل إلى محاكاة النماذج الكلاسيكية الكبرى للمسرح الأسباني في عصره الذهبي (عصر لوبي دى بيغا وسيرفانتس) وسخرية مسرح كيبيدو، بل والتوجه إلى محاكاة بعض النماذج الكوميديا الفرنسية الكلاسيكية كذلك (مثل بخيل موليير).

ويبدو واضحا في هذه المرحلة أيضا أن ماكس أوب كان يخوض صراعا مع اللغة «يمكن القول إنه صراع جبار، وذلك نظرا إلى تكوينه ثلاثي اللغة» كما يقول الباحث المسرحي ريكاردو دومينيش. فأوب الذى عاش طفولته الأولى في باريس، وتلقى تعليمه الابتدائي باللغة الفرنسية، إضافة إلى تلقيه اللغة الألمانية من أبيه، لم يكن قادرا ــ لولا جهوده الجبارة ـ على الكتابة باللغة الأسبانية، التى تعلمها فى مرحلة لاحقة. لكن أوب استطاع تجاوز هذه العقبة بنجاح باهر، جعله يتفوق في قدرته التعبيرية على كتّاب ولدوا وهم يصرخون بالأسبانية، مما حدا بنا قد أسباني، هو ميغيل بايون، إلى القول في معرض تعليقه على أحد أعمال ماكس أوب: «. . . فنثره آية من آيات الفكاهة، وأوصافه تزواج بإتقان

بين التعبير المتألق والدقة الصارمة في تسمية الأشياء. وإذا ما تصفحنا هذا الكتاب أو روايته «المتاهة السحرية»، فإننا سنصاب بالغم حين نتأكد من مدى افتقارنا إلى الكلمات القشتالية بالمقارنة مع ما يتداوله منها تقريب ابن الالماني والفرنسية الذى ترعرع في بلنسية.[٧]

العمل المسرحي الأول: قلنا إن أول عمل كتبه أوب للمسرح، كان مسرحية من فصل واحد، بعنوان: «جريمة»، ويمكن تلخيصها على النحو التالي: يفاجأ بابلو ـ بطل المسرحية حين تخبره زوجته بانها حامل، فيضطر إلى الاعتراف لها بأنه عاجز جنسيا، وهو أمر كان يخفيه عنها حتى ذلك الحين، ويؤكد أنه لابد بالتالى من وجود خيانة زوجية. تصر الزوجة على وفائها، لكن بابلو الهائج، يسارع إلى قتل ابن عمها، على انه العشيق المزعوم، بالرغم من أن الزوجة لاتتوانى عن الصراخ والتأكيد على بارءة ابن عمها. بعد جريمة القتل، يدخل بابلو في دوامة الشك: هل كانت هناك خيانة زوجية حقا؟ وهل هو عاجز فعلا؟ وما الدليل الذى استند اليه في كل ذلك؟ لكن المسرحية تنتهي بجوقة الجيران الذين يؤكدون وقوع الخيانة الزوجية.

هذ المحاولة التمثيلية الأولى التى كتبها أوب في العشرين من عمره، ووضع لها عنوانا فرعيا: «ميلودراما»، دفعته لأن يقول بعد عدة سنوات من كتابتها: «عسى أن يغفر لي أني كتبتها.»، لكن ذلك لم يمنع فرقة المسرح الجامعي في بويرتو ريكو من تقديمها على المسرح عام ١٩٥٦.

بعد ذلك، وبتأثير من المسرح الكلاسيكي الساخر، كتب أوب مسرحيتي «مرآة البخل» و «الاعيب البخيل». وهما مسرحيتان تكشفان عن جانب هام في المؤلف، ألا وهو قدرته الكبيرة على النقد اللاذع، وشراسته في كشف العيوب. لكننا لانستطيع أن ننظر اليهما كمرحلة

٧) ميغيل بابون: المرجع السابق.

أخرى من مراحل البحث والتجريب، وإن كان قد قيض لمسرحية «الأعيب البخيل» مسرحي كبيرا هو إليخاندور كاسونا، الذي قام بإخراجها عام ١٩٣٥، ليتجول بها في المناطق الريفية النائية، تطبيقا لتوجيه الحكومة الجمهورية في حمل المسرح إلى جماهير الشعب.

أما أبرز أعمال أوب في تلك المرحلة، فهي مسرحية نرسيس التي كتبها عام ١٩٢٧، ونشرها في العام التالي، ولكنها لم تظهر على المسرح إلا في عام ١٩٦٣، عند عرضها في مدريد. والمسرحية هي استلهام لأسطورة نرسيس وايكو الاغريقية، يقدمها المؤلف مستندا لأولى هواجس نرسيس بالوصول إلى الكمال المطلق، وهواجس ايكو في ملاحقة نرسيس، مضيفا إليهما شخصية خوان، الذي تدفعه بدوره فكرة مطاردة ايكو إلى أن يتمكن من الايقاع بها، بعد أن تكون قد ملت نرسيس الذي لا يبادلها حبها بحب، وسئمت من تكرار كل كلمة يقولها (ولا من الإشارة هنا إلى أن ايكو في الأسطورة الإغريقية هي عشيقة نرسيس الذي يصدها بازدراء، فتذوب غما وتتحول إلى «الصدى»).

مسرح أوب بعد الحرب الأهلية :

منذ وصوله إلى المكسيك عام ١٩٤٢، يبدأ ماكس أوب مرحلة من الانتاج الخصب والغزير، تذهل النقاد باتساعها وعمقها. فيكتب ما بين عامي ١٩٤٢و ١٩٥٠ ست مسرحيات طويلة وأكثر من عشرين مسرحية من ذوات الفصل الواحد، إضافة إلى مؤلفاته الشعرية والروائية والقصصية، ومساهماته الصحفية والنقدية الوافرة. وفي أعماله في هذه المرحلة نجد المسرحي الكبير المتمكن تماما من الأشكال الدرامية الواقعية، والمزودة بتجربة استثنائية تقوده إلى إنتاج مسرحي ملحمي، يصبح من المستحيل التعرف فيه على مؤلف نرسيس أو مرآة البخل، لأن الفرق بين الأعمال الأولى وما كتبه في المكسيك فرق جذري.

لكن اعمالا مثل «الحياة الزوجية» (La vida conugal) و «اختطاف أوروبا» (El rapto de Europa)، و «ماتوا لأنهم أغمضوا عيونهم» (Morir por cer- rar los ojos) التي صدرت تباعا في أعوام ١٩٤٢، ١٩٤٣، ١٩٤٤، لم تأت من فراغ، وإنما هي نتاج تجربة أهوال الحرب الأهلية والحرب العالمية الثانية، ومعسكرات التجميع، وحياة التشرد والمنفى، كما أنها تمثل مرحلة نضوج تلك التجارب الفنية التي كتبها المؤلف خلال الحرب الأهلية، أثناء انهماكهفي تأليف مسرحيات تحريضية مباشرة، فرضتها عليه ظروف الحرب، وهي المسرحياتالتي يطلق عليها أوب نفسه اسم «مسرح المناسبات».

قلنا من قبل إن أعماله في فترة الحرب الأهلية ـ التي دامت ثلاث سنوات ـ شكلت إرهاصا للمرحلة الثانية، أي للمرحلة المكسيكية. فقد كتب خلال سنوات الحرب عددا من الأعمال، بلغت خمس مسرحيات، هي: «الماء ليس من السماء» (El agua no es del cielo)، و «بيدور لوبيث غارثيا» (Garcia Pedro Lopez)، و «الشقيقتان» (Las dos hermanas)، و «ماذا فعلت اليوم كي تكسب الحرب» (Que has hecho hoy par ganar la guerra") وخوان يضحك، خوان يبكي» (Juan rie, Juan llora). لكن المؤلف لم يحتفظ من هذه الأعمال إلا بمسرحية بيدورو لوبيث غارثيا، التي ضمنها في مجلد نشره في المكسيك عام ١٩٦٠ بعنوان: «مسرحيات من فصل واحد». ولهذه المسرحية، كما نرى، أهمية استثنائية، لأنها تسدّ الهوة التي تبدو قائمة بين المرحلة السابقة للحرب الأهلية والمرحلة التي تليها، أي أنها ذات أهمية خاصة لفهم مسيرة مسرح أوب، ودراسة علاقة فنه الدرامي بالظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة.

كتبت مسرحية بيدرو لوبيث غارثيا وقدمت سنة ١٩٣٦، وهي قصة إدراك إنسان عادي للوعي الطبقي. فبطل المسرحية، واسمه بيدرو لوبيث غارثيا، هو راع أمي لا علاقة له بالسياسة على الإطلاق، يجد

نفسه فجأة في خضم الحرب، دون أن يعرف ما الذى تعنيه تلك الحرب. لقد جندوه، وشارك في الحرب لأنهم أمروه بذلك. لكن ذلك الراعي، وعبر مجموعة من الأحداث، يتوصل إلى إدارك معنى الحرب، وعندئذ يختار الجانب الذى عليه القتال فى صفوفه: «هناك حيث الرجال الذين يعيشون ظروفا مثل ظروفه... هناك حيث الشعب».

من الواضح أنها مسرحية تهدف لممارسة تأثير مباشر على المشاهدين، مسرحية ذات هدف تحريضي، تعتمد تعبيرا رمزيا شاعريا أملته ظروف الحرب الأهلية التي كانت تتطلب نمطا معينا من المسرح، ولكنها عمل وسيط لفهم أوب التالي.

نعود الآن إلى تلك الأعمال التي كتبها أوب في المكسيك، وهي بالعشرات، ولا مجال لاستعراضها كلها، لكننا سنكتفي بتناول مسرحية «اختطاف أوروبا» كنموذج منها لإلقاء الضوء على هذه المرحلة.

اختطاف اوربا: يضع لها المؤلف عنوانا فرعيا يقول: (او « دائما يمكن عمل شيء «دراما واقعية في ثلاثة فصول»). وهي تتناول معاناة مجموعة من اللاجئين المنتمين إلى جنسيات مختلفة، يهربون من الخطر النازى إبان الحرب العالمية الثانية. تدور أحداث المسرحية فى مدينة مرسيليا الفرنسية، عام ١٩٤١. ويقدم لنا المؤلف صورة موقف إنساني واع ومنسجم مع مبادئه، من خلال بطلة المسرحية «مرغريتا». ومرغريتا هي امرأة أمريكية في الستين من عمرها، تساعد بتفان وتحمس أولئك اللاجئين البائسين لتمكينهم من الهرب إلى أمريكا اللاتينيه. ومرغريتا هي نموذج واضح من تلك النماذج الفردية التي تبرز فجأة وسط المآسي، أو في اللحظات الحرجة، لتذكرنا بعظمة الإنسان الذى لاسبيل إلى تدميره. ويبدو واضحا أن إحساسها بالأخوة الإنسانية هو الذى أوصلها إلى معاداة الفاشية وخوض النضال ضدها: «... أظن أن ما دفعني إلى

ازدراء الفاشية هو جو الريبة الذى أشاعته في العالم، وذلك الشك المخيف بكل ما هو إنساني حقيقي . . . ».

اختطاف أوربا، هي قصة انحدار أوربا إلى الهاوية، وسقوط مثلها الليبرالية، وموتها لأنها أغمضت عيونها عن الوحش النازى الذى كان ينمو ويتضخم في عقر دارها، إنها أوربا المسلوبة التى يصفها أحد شخوص المسرحية بقوله: « . . . يبدو أن العالم يركض إلى الوراء الآن. كنا نظن أن يوم التحرر العظيم يقترب، فرأينا ولادة الفاشية. أى جنون هذا الذى يعصف بأوروبا؟ يا لانهماك الجميع فى وضع أنفسهم في أيدى الآخرين! يا للرغبة في الإذعان. . في الانقياد وقبول السير على العنق! . . . يا للتشوق للانصياع والانحدار إلى مجرد بيادق تحركها يد الآخرين! . . . ».

لكن واقع أوربا المزرى تحت نير النازية، تقابله بارقة أمل تمثلها مرغريتا، ومن يقفون وراء مرغريتا دون أن نراهم، إنهم آلاف المجهولين الذين يعملون لإنقاذ إنسان مجهول آخر. فمرغريتا ترد في المسرحية على أحد اللاجئين، وقد أراد التملص وعدم الهرب في اللحظة الأخيرة، بعد أن أمنت له كل ما يحتاج إليه للسفر بسلام، فتقول له: «ألا تفكر فى المال الذى أنفق وذهب هباء لتأمين خروجك؟ أتعرف من الذى دفع ذلك المال؟ لم يفعل ذلك أى سياسي فى بلادك. إنها تبرعات موزع الحليب في قريتي، وبائع الصحف في بوينس أيريس، وعامل المنجم في البيرو، وعامل التعدين فى برمنغهام، والفنان في هوليود، والعامل الأجير في مكسيكو(. . .) لا. لن تبقى، بل ستبحر عند الفجر، فأنت لست، وإنما أنت رجل مجهول ينقذه آلاف المجهولين. ».

إن اختطاف أوربا وغيرها من أعمال تلك الحقبة (وخصوصا مسرحية«ماتو لأنهم أغمضوا عيونهم») هي ملحمة الإنسان، إنسان عصرنا الذى عاش الحروب وعانى ويلاتها، وعرف معسكرات

الاعتقال، والمطاردة الفاشية، والمنفى، والإرهاب المنظم علميا. كما أنها تعكس بدقة قاسية الانهيار والخواء الروحي الذى وصلت إليه أوربا تحت نير النازية.

((لا)) ماساة الإنسان المعاصر :

أما المسرحية التي نقدمها هنا، فهي تتناول مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية. إنها دراما الحرب الباردة، والنقد القاسي للدولة البوليسية القائمة على قمع الإنسان وإرهابه. إنها دعوة نبيلة تدافع عن إنسانية الإنسان وعن كرامته وشخصيته، وتدين الظلم والطغيان ــ مهما كانت هويته، ومهما كانت أهدافه ـ لأن العالم، كما تقول إحدى شخصيات المسرحية "لن يجد الخلاص لأنه شيوعي أو رأسمالي، وإنما لأنه إنساني". فأوب في هذه المسرحية مواطن عالمي، يفكر في مصير الإنسان، ويدعو للسلام، ويكشف عما تعنيه الحرب من تدمير لإنسانية البشر وعواطفهم. وفي هذا الاتجاه، كتب خوسيه مارّا لوبيث مستعرضا المسرحية يقول : "إن أوب، في هذه الشهادة المؤثرة، في هذا الموقف الإنساني المتطرف، يطلق (لا) مدوية ضد أساليب الحكم الامبراطورية، و (نعم) أشد دويا لصالح الإنسان. (8)". وصرخة "أوب" هذه تجد لها أصداء في العالم كله، عالمنا الذى يقف على حافة الحرب ويده على الزناد.

تدور أحداث المسرحية عام ١٩٥١، في محطة قطار بإحدى قرى ألمانيا، والمحطة تقع على خطوط التقسيم التي تفصل بين الجانب الذى يحتله السوفييت والجانب الذي يحتله الأمريكيون. بل إن خط التقسيم يمر من المحطة نفسها، ويقسمها إلى قسمين، وبهذا تضعنا المسرحية مباشرة أمام القوتين العظميين، اللتين تمثلان السلطة الشمولية في عصرنا، بكل ما تمثله السلطة من قمع وقهر وتسلط وبيروقراطية.

---

8) Jose R. Marra Lopez, La obra literaria de Max Aub. Revista Primer Acto, NUM. 52, Madrid, Mayo 1964.

ولعل أول ما يلفت النظر في المسرحية هو تلك القائمة الطويلة من الشخصيات، وعدم وجود شخصية أساسية أو بطل فرد. وإن كان المؤلف قادرا على إبراز شخصياته فرديا، وتزويد كل واحد منهم "بسيولوجية" مختلفة عن الآخرين. ففي العمل سيل من الشخصيات التي تتصارع لتلتقي في نقطة واحدة هي مركز المسرحية وسمتها الأساسية: قضية الإنسان وموقفه من السلطة ـ الدولة. ومع أن جميع من في المحطة يعيشون وضعا مأساويا واحدا، إلا أنهم يستجيبون له بردود فعل وأساليب مختلفة، فتبدو كل شخصية وكأنها تمثل قصة منفردة، فهناك يأس جوليت الذي يقودها إلى الانتحار، وتمرد السيدة فونكيل العدمي، وغيرة غوستاف المرضية، وحب هيرمان وماريا الذي يرفض الاعتراف بالحواجز الحدودية والأيديولوجية، وجنون "إما"، وحماس سلفادور كاسترو الذي يحمل في رأسه بعض الأفكار الثورية المثالية. لكن قصصهم جميعا تتآلف بعضها بعضا، لتسير في مسار واحد ولتؤدي غرضا واحدا، ألا وهو تقديم رؤية عميقة وشمولية لذلك الزمن "المقلوب".

وشخصيات المسرحية ليست رموزا ولا أنماطا جاهزة، وإنما هي كائنات مفعمة بالحياة، وإن كانت حياة محبطة ومهزومة، تجسد لنا تجربة إنسانية مؤثرة، وتعبر عن مواقفها بمستويات فكرية وفنية ونفسية واضحة، ولها جميعا قسمات إنسانية نابضة، تشدنا إليها وتحملنا على التفاعل معها.

أما القصة، فلا وجود لها كحدث متصاعد يصل إلى ذروة ليبدأ بعدها الحل. فالمسرحية تقوم على حوار متقطع بين تلك الشخصيات المسحوقة الضائعة التي يعتصرها العذاب، ولاتجد طريقا للخلاص، فهي جميعها في محنة، في امتحان قاس لقيمها وأفكارها ومشاعرها. لاوجود لخط سردي في المسرحية، لكن حوارها يولد حركة تكشف عن آلية القمع

والتسلط، آلية قمع أنظمة الدولة للإنسان وتحطيمها لاستقراره المادي والروحي. ومن خلال علاقات غير إنسانية، يتمكن أوب من إبراز الملامح الإنسانية في أناس عصابيين، تدمر القيود القاسية أرواحهم وتحولهم إلى عاجزين ينفجرون في وجه بعضهم بعضا لعجزهم عن موجهة من يقمعهم، ولنتأمل في هذا الحوار:

بيترا: اصمتا!... اخرسا تماما! اتركا الآخرين ينامون إذا كنتما لاتنشدان الراحة. لقد كنت أحلم بأني آكل فرخ بط ... عليكما اللعنة...

نيكولاس: أنت تودين النوم، ونحن نود الحديث. كيف نتدبر الحل؟

بيترا: بقنبلة!

وتظهر إحدى ذرى المأساة في المسرحية بانتحار جوليت فراي، التي سُدت في وجهها السبل، فألقت بنفسها تحت عجلات القطار، متحولة بذلك إلى مشكلة لأجهزة الدولة البيروقراطية، التي لاتلبث أن تجد الحل في تحويلها إلى تقرير. فإذا كان الأحياء يبدون وكأنهم " مصنوعون من ورق "، ولا وجود لهم إلا في الوثائق، فلماذا لاتتحول المنتحرة إلى تقرير، خصوصا وأنها وجدت الحل لعذابها بأن " صارت تقريرا " كما يقول الضابط الأميركي. وهكذا فإن كل شيء في الدولة البيروقراطية يمكن حله " بتقارير لاحل لها ".

إن الرسالة التي تحملها " لا " هي في موقفها النبيل من مأساة الإنسان الذي تدوسه سنابك السلطة. وفي كونها صرخة دفاع عن كرامة الإنسان، ورفض للضغوط البيروقراطيةالتي تمارس بأشكال مختلفة، سواء أكانت من الشرق أو من الغرب، لأن كرامة الإنسان وحريته وإنسانيته هي ذاتها في هذا الجانب أو ذاك، والدفاع عنها في جانب لاينسجم مع السكوت عنها في الجانب الآخر، وإلا غدا الموقف مجرد نفاق ورياء. وإذا

أردنا معارضة امتهـان الإنسان، فعلينا أن نمارس ذلك في كل مكان، لأن " العفونة ليست في الدانمارك وحدها " .

ثمـة أمر أخير لابـد من الإشارة إليـه. صحيح أن المسرحية تعـالج مرحلـة من مراحل التاريـخ البشري ـ هي مرحلـة ما بعد الحرب العـالمية الثـانيـة، وفترة الحرب الباردة، والقمع الستـاليني والماركسي ـ إلا أننـا لا نستطيع اعتبارها مجرد تسجيل لتلك الفترة التاريخيـة، لأن دلالة أحداثها تخرج بها من ذلك الإطـار التاريخي، وتضفي عليهـا طابعا مـن المعاصرة المتواصلـة والشمولية. إنها وثيقة تعبر عـن حقيقة قائمة، حقيقة يعيشها إنسانـنـا المعاصر، خصـوصا وأن أوب يعي أن الفنـان ليس مـؤرخا يفسر أحداث التـاريخ، وإنما هو بـاحث عن القيم الإنسانيـة الباقيـة على مر العصور.

لكل ذلك، كـان لابـد من تقـديم هـذا الكـاتب الكبير في هـذه السلسلة. فكـاتب مثل اوب وبحجمـه لا يمكن نسيـانه طـوال هـذا الـوقت، ولا يمكن في ظل الظـروف العـالمية المعـاصرة نسيـان أو تجاهل مسرحيـة " لا " الغنيـة والمتشـابكـة مثل مسرح " أوب " كلـه، الـذي يكشف عن طاقة إبداعية غير عادية .



لا

تأليف : ماكس أوب

ترجمة : صالح علماني

مراجعة : د. محمود السيد علي

العنوان الأصلي للمسرحية :

MAX
AUB

NO

teatro

cuadernos
para el dialogo

إلى سالمون دي لا سيلفا (*)



قديمة حكاية الأشبيلي الذي الـذي سألوه يوما ما هي الأسباب في عـدم ذهـابـه إلى مـدريـد : "السبب الأول، أني لاأملك نقـوداً. . . " فقاطعوه : بهذا تصبح بقية الأسباب معروفة . و إذا أردتم أن تعرفوا لماذا لا أنـاصر أنظمـة الحكم الـراهنة للـدول الأعظم في أيـامنـا ، فإنني سأبـدأ بالقول : "لأنها دول بوليسية . . . "

أذكر اسمك هنا لأنـك رجل كريم ، نوعية منـاقضة لهذا السرطان العـالمي غير واردة على الخريطـة ، حيث العثـور على شخص مثلك أمـر يدعـو للذهـول . إن هذه الصفـة الجوهريـة ، لم تعد تُطلـق إلا على نبيذ بـلادي "أنت كريم إذن أنت مـوجـود" الكائن النبيل ، الـذي يتصرف بشهـامة ، هـو السخي ، المانع ، الـوافـر ، المتوقـد ، البـاسل والصريح ، النزيه ، لأنه يهتـم للآخرين وبهم . أين أجد اليوم هذه النـزعة الشجاعة التي تقدم الكرامة على المنفعة .

فيك أجـدها يـا آخر وميض في عـالم ينسلخ من عـالم آخر ، أكثـر عدالة، عالم سيعيد يومـاً ، وسط الجموع ، اكتشاف الكرم . أنا وأنت لن نـرى ذلك اليـــوم ، ولكن إذا مـاصـادف العلماء حينئـذ نمـــوذجـاً لهذه المجموعة من الخصال ، فليكلموا من كنت ، فضلا عن مجدك .

☆) سالمون دي لاسيلفا : شاعر نيكاراغـوي (١٨٩٣ ـ ١٩٥٩) كتب بالانجليزية : **Tropical town and ather poams** ، وبـالاسبانيـة : "الجندي المجهـول" و "العائلة السامية" .

شخصيات المسرحية
(مع بعض التفاصيل للتسهيل على الممثلين)



في المكتب الأمريكي:

بوب تالكوت : ولد في نيويورك سنة ١٩٢١، مطلق، يفكر في العمل في مقاولات البناء عندما يخرج من الجيش. درس في يال (Yale). مُعمَّد اشترك في الحرب دون أن يخرج من الولايات المتحدة.

تيد هاركينز : ولد في كليفيلاند (أوهيو) عام ١٩٢٣، من أب أمريكي وأم ألمانية، بائع، مستخدم، لاعب بيسبول جيد (كاتشر)*. اشترك في الحرب في فرنسا، وقد جرح مرتين.

جون فيلد : ولد في دالاس (تكساس) عام ١٩٢٥. يفكر في البقاء في الجيش. متزوج. ليست لديه مشاكل.

في المكتب السوفييتي:

بوريس ليبنسكي : ولد في أوديسا عام ١٩١٥. ينتمي إلى الحزب الشيوعي منذ ١٩٣٣. كان في منشوريا، وفي أسبانيا، اشترك في الحرب تحت أمرة جوكوف. متزوج، وله ولدان. طموح وذو كفاءات قيادية.

نيكولاس بوربينوف : ولد في أورلين عام ١٩٢٥. منتسب إلى الحزب منذ سنتين. يقظ واع، لكن "قديسه يغادره إلى السماء أحيانا" **. مليء بالغيرة. هوايته الكبرى: الغناء.

☆) كاتشر (Catcher) اللاعب الذي يلتقط الكرات في لعبة البسبول.

ديمتري كوفاك : ولد في لينينغراد عام ١٩٢٦ . مغرم بالريف، حيث تنحدر عائلته. يرغب في أن يكون مهندساً زراعياً.

الجانب الأمريكي :

جوليت فراي : ولدت في براغ عام ١٩٢٨ . جميلة، طويلة وشقراء، عاطفية، ولاتستطيع التحكم في نفسها أبداً، ابنة دوافعها.

السيدة فرنكيل : ولدت في فيمار عام ١٨٨٦ . درست الثانوية وتزوجت من صاحب حانوت، كانت سعيدة حتى عام ١٩١٤ . واجهتها بعد ذلك مصاعب اقتصادية عكرت طابعها. أمضى ابنها في روسيا ثمان سنوات، أسيراً ومريضاً. تنتظر عودته بين يوم وآخر. تدين بالكاثوليكية.

غوستاف : ولد في إيزن، عام ١٨٩٠ . سيروى قصته أثناء المسرحية.

تيودور غليتش : ولد في برلين عام ١٨٨٢ .

نيكولاس أ : ولد في وارسو عام ١٩١٧ . وهو أيضا سيُعرِّف نفسه.

خوسيه : ولد في بفورزهام سنة ١٨٨٨ . عمل سائق عربة. وطاهٍ من الدرجة الدنيا، وجندي من الدرجة الثانية وخادم. ورث مزرعة صغيرة، فعمل مزارعاً، لكن القصف دمرها. إنسان بسيط.

بيترا : ولدت في ليبزغ عام ١٨٨٧ . عاملة، توصلت إلى امتلاك مشغل لحسابها الخاص. مات أولادها، ولم يبق لها سوى حفيد وحيد.

قس : يدعى فرانز بليبرغ. ولد في هامبورغ عام ١٩١٠ .

بروتستانتي . مليء بالنوايا الطيبة التي لايدري كيف يوظفها . متزوج ، يعاني نوعاً من الهوس ويقضي مايمكنه من الوقت خارج منزله . يعيش في ألتبرغ منذ نحو خمس سنوات .

مارغريتا : زوجته . تمتليء غيرة لامبرر لها . ساخطة لأنها لم تنجب أولاداً ولقصور طموحات زوجها الإجتماعية . ولدت في كوبنهاجن عام ١٩١١ .

استانيسلا والأول : من مدينة ألتبرغ ، حيث ولد عام ١٨٩٣ ، اسكافي ومراب . عازب . بائس .

آنا : ولدت بالقرب من بروكسل عام ١٩٠٨ . فلاحة ، وقد أمضت خمس عشرة سنة في برلين حيث كانت تعمل في مصنع . تحررت الآن من عشيقها ، وتحلم بالعودة إلى قريتها .

غاسبار : ولد في كولون عام ١٩٠١ . تاجر، نازي . مطلق مرتين ، يظن نفسه ذكيا جداً ، بينما لايعدو كونه عنيفاً .

لويسا : زوجته الحالية . ولدت في ميونيخ عام ١٩١٥ . كان لها عشيق خلال الحرب ، عندما قتل ، أصبح سيان لديها حينئذ هذا الشخص أو سواه . تنتمي إلى عائلة محترمة .

أنجيلا : ولدت في براتيسلافا عام ١٩٢٢ . برجوازية ، كان مالدها نازياً . ماتت أمها كمداً عام ١٩٤٨ . تزوجت من رجل استطاع الوصول إلى فنزويلا . لاتحبه ، لكنها تريد الذهاب إلى فنزويلا . جميلة . مبتذلة .

غوتبرغ	: ولد في دورتموند عام ١٩٠٨ . ابـن لعائلة ميسورة، درس في هامبـورغ . تزوج ــ دون رضى أحد ــ من ممثلة هجـرته بعـد فترة وجيزة . دكتـور في الحقوق . حـارب في النـرويج وفي روسيا . وقـد فـاجأه وقف إطلاق النار وهو جريح في مستشفى .
غريتا	: ولدت في كوتباس (Cottbus) عام ١٩٠٠ . موظفة في السكة الحديد . سنروى قصتها .
خراط	: ولد في كـريفيلد عـام ١٩١٠ . عمل طوال الحرب تقريباً في "ايزن" . ثم أجلي مع المصنع الذي يعمل فيه إلى بوسين .
أندريه غابار	: ولد في باريس عام ١٨٩٧ . كاتب شهير .
سيرغي موستروفيتش	: ولـد في مـوسكـو عـام ١٨٩٣ . صحفي وكـاتب سوفييتي . جال بلداناً كثيرة .
كافاينسكي	ولد في بودابيست عام ١٩١٧ . شخصية غير ذات أهمية .
سيناتور	: ولد في نورمان (أوكلاهوما) عام ١٨٨٧ . بدأ حياته كناسـاً ، وهو الآن مليونير . تـزوج مرتين ، وحـالفه الحظ فيها . لايعرف ماهو المرض . ديموقراطي .
الطيار الأول	: ولد في ايغر عام ١٩٢٠ .
الطيار الثاني	: ولد في براتيسلافـا عام ١٩٢١ . تزوج من جوليت فـراي في ١٩٤٧ . خـدم في سـلاح الجو الملكي (البريطاني) .
الذي يحدث نفسه	: لم أتحقق من شخصيته .
	الجانب السوفييتي :
اليكسيس	: من «نيم» ، حيث ولد عـام ١٩٠٢ ، يعمل نادلاً .

مريانو جيورجي	: ولد في بوخارست عام ١٩١٩ . ابن لعائلة من الطبقة الوسطى . وهو من الذين سقصون سيرتهم .
غراندهوم، الشهير بإليكس الكبير	اشترك بالحرب في شعبة الإمداد والتموين . وقع أسيراً في يد الألمان ثم بيد الروس . كسول بطبعه . لايعرف ماذا يريد .
كاتب الحسابات	: ولد في برلين عام ١٨٩٩ . مُخَنَّث . بروتستانتي . خجول . حارب بشجاعة في بولندا، وفي اليونان، وفي فرنسا . جرح مرتين . لايدري لماذا جاء إلى الدنيا ولايهمه ذلك .
سلفادور كاسترو	: من قرية غراوس (ويسكا، أسبانيا) حيث ولد عام ١٩٢٣ . ابن موزع بريد . حليق رأس غرست فيها بعض الأفكار.
ثلاث عجائز	: من قرية قريبة من ألتبرغ . يمارسن تجارتهم الصغيرة، بتهريب بعض الأشياء .
غرومبوف	: ولد عام ١٩٠٦ في ريغا . شارك في الحرب مع أحد الطرفين ثم مع الطرف الآخر. الشيء الوحيد الذي يهمه هو قرحته المعدية . ميكانيكي .
لودفيج	: من ألتونا، ولد سنة ١٩٠٩ . صبور. نجار ماهر. يحلم بحياة هادئة وطعام لذيذ وبيرة جيدة، ولايهمه سوى ذلك .
أستانيسلا والثاني	: من قرية قريبة من التبرغ، حيث ولد عام ١٨٩٥ . مهنته الحدادة وطبيعته البخل . له زوجة وسبعة أولاد، كان يضربهم دون رحمة. هجره خمسة منهم وانصرفوا عنه، وقضى الإثنان الآخران نحبهما في غارة جوية .
جوهان	: ولد في برلين ١٨٩٨ . سيروى قصته .

وينسيسلاس	:	ولد في كراكوفيا عام ١٨٩٨ . متسول . تأتيه الأمور عن سعة .
الرجل البدين	:	ولد في دانتزيغ عام ١٩٠٣ . كان غنيا ، ولم يبق له سوى سمنته وزوجته .
زوجته	:	ولدت كذلك في دانتزيغ عام ١٩٠١ . غيورة . لاتطاق .
بوريس إيفانوفيتش ليهمان	:	سيقص حياته . ولد في موسكو عام ١٨٨٣ .
إنريك	:	ولد في فيينا عام ١٩١٨ ، موسيقي . جميل وضئيل الشأن . ماأن بدأ يتعرف على الدنيا حتى تزوج من سوزان .
سوزان	:	ولدت في باسو عام ١٩١٧ . مغنية لِّيْدَة * شهيرة . تاهت في حب إنريك الذي تعرفت عليه في فيينا ، وكانت كل شيء بالنسبة له .
مارتا	:	ولدت في كراكوفيا عام ١٩٠٨ . ربة منزل .
بالدوميرو	:	زوجها . مراقب عمال . وهو أيضا من كراكوفيا وله من العمر مثل مالزوجته .
جوان	:	ولد في وارسو عام ١٩٠٧ . بائع خردوات ، عشيق قديم لمارتا
ماريا	:	ولدت ولدت في كييف عام ١٩٢٦ . درست البيولوجيا وعملت ممرضة خلال السنوات الأخيرة من الحرب . تعرفت على هيرمان في ستالينغراد ، حيث تزوجا عام ١٩٤٩ .

☆ الليدة : نوع من الغناء الشعبي الالماني

هيرمان : ولد في "فرانكفورت آن ماين" عام ١٩٢٢. سيروى قصته.

لوقا : ولد في شتوتغارت عام ١٨٩١.

هيلدا غلاكوفسكا : ولدت في فلاديفستوك عام ١٩٠٥. ابنة موظف. تزوجت في برلين عام ١٩٢٦. ورجعت إلى الاتحاد السوفييتي بعد عشر سنوات، منفصلة عن والد ابنها.

بطرس : ابنها، ولد في برلين عام ١٩٢٧.

ميشا : ولد في ميمل عام ١٨٨١. كان بحاراً، ثم أستاذا للتاريخ. ثم أصبح نباتياً. بروتستانتي النشأة. يحب خداع الناس دون أية نية خبيثة.

الكسندر : ولد في قرية قريبة من ثورن، عام ١٨٩٨. فلاح. درس قليلاً خلال الحربين اللتين شارك فيهما. وقد جرح في الحربين، ولم تكن جراحاً خطيرة.

إمّا : هي "إمّا بلومينثال"، منذ فترة من الزمن وحتى الآن. طفلان، ووالد أحدهما، ووالدة الآخر: يمكن المبادلة بينهما.

من هم الأحياء ؟
من يسمعنى هنا ؟
لارا

الديكور

محطة القطار في قرية ألتبرغ، في ألمانيا. على الخط الفاصل بين منطقتي الاحتلال: السوفيتية والأمريكية. رصيف المحطة يمضي موازياً لكواليس

المسرح، يفترض وجود خطوط السكة الحديد في المكان المخصص للأوركسترا. في العمق، هنالك هيكل مخزن يغطي الأفق. خشبة المسرح مقسومة في منتصفها تماماً بعارضة خشبية ارتفاعها متر واحد تعلق وسط ما يفترض أنه مظلة الرصيف لافته بالألمانية، مكتوبة بأحرف قوطية، تشير إلى اسم المحطة. إلى اليمين ـ بالنسبة للممثل ـ توجد لافته أخرى كتب عليها الاسم بالانكليزية، والى اليسار ثالثة مماثلة بالروسية.

في كلا الجانبين، وعلى المستوى الثاني من خشب المسرح، مكتبان، يحتل كل منهما ربع المنصة تقريبا. بداخلهما: طاولتان، خزائن ملفات، هواتف، كراس، الخ... المكتبان مغلقان بألواح زجاجية من الأمام، وكذلك من الجانب الذي يتقابلان به. يتم الدخول إليهما من باب يفضي إلى مكان غير مرئي. بقية المشهد يشكله الرصيف المقسوم، الذي يمكن الدخول إليه من المستوى الأول مباشرة ومن المستوى الثالث، وراء المكاتب، حيث يبقى ممر يسمح بالحركة. في الوسط، توجد أكوام من الصناديق والحزم الملاصقة للمكتب الأمريكي. ومقابلها، في الجانب السوفييتي، براميل وصفائح، مما يتيح استخدام عدة مستويات.

أصبحت المنصة مقسومة بالطبع إلى أربعة أقسام، هي: المكتب الأمريكي، والمكتب السوفيتي، المساحة المحيطة بالجانب الأمريكي، المساحة المحيطة بالجانب السوفيتي.

يتسع كل من المكتبين لثلاثة موظفين. على رصيف المحطة، وعلى جانبي الحاجز الفاصل، مجموعات متباينة من الناس، ينامون بين حقائبهم الصغيرة والكبيرة وحزم أمتعتهم، تاركين ممراً بعرض متر واحد تقريباً أمام الكواليس وإلى جانبي الحاجز، ليتمكن الحارسان من المرور. أحد الحارسين سوفييتي، والآخر أمريكي، وهما يمضيان ويختفيان ويعودان للظهور دائما بالاتجاه نفسه، كلّ في منطقته، يدخلان من وراء المكتبين ويخرجان إلى المستوى الأول. كلاهما يتنكب سلاحه على كتفه، يدخلان

ويخرجان في وقت واحد، بإيقاع عسكري دقيق.
ضجة وأضواء قطارات تمر أمام الرصيف ووراءه. صفارات القاطرات تنطلق بين الحين والآخر بصفيرها الحاد الكئيب. يذهب بعض الناس ويجيئون بين وقت وآخر، باحثين عن مكان مريح بين الآخرين الذين يتذمرون بسبب ما يسببون من إزعاج. البعض يتمشون خارجين، داخلين، ثم عائدين للخروج.
الوقت ليلا، العام ١٩٥١. الإضاءة جيدة في المكتبين، وشاحبة في بقية المشهد.
لا مبالغة في أي شيء عادي وبسيط.

الفصل الوحيد

عند رفع الستارة، يظهر بوربينوف وليبينسكي يعملان في المكتب السوفييتي.
يمر قطار، يحول ضجيجه دون سماع النقاش الدائر في المكتب الأمريكي، حيث توجد امرأة طويلة وشقراء هي جوليت فراي، تتحدث مع هاركنز. يستمع إليهما تالكوت باهتمام وهو يحمل صحيفة في يده. جميع من على الرصيف مسترخون نائمون.
في المكتب الأمريكي:

جوليت : (يائسة) ولكنني متزوجة منه!

هاركنز : اسمك جوليت فراي، وتحملين جواز سفر باسم إلينا هومبورى.

جوليت : لقد أوضحت لك أنها كانت الطريقة الوحيدة للخروج .
هاركنز : ولماذا لم تأت في طائرة زوجك ، إذا كان له وجود؟
جوليت : لماذا لا تريدني أن أكرر لك السبب مرة أخرى؟
هاركنز : لأني أسألك . كيف حصلت على هذه الوثائق؟
جوليت : حصلت عليها . . . اشتريتها . . .
هاركنز : ممن؟
جوليت : لقد قطعت عهداً بالكتمان .
هاركنز : لا يمكننا في هذه الظروف قبولك في المنطقة الأمريكية .
جوليت : هل ستعيدونني . . . إلى الجانب الآخر؟
هاركنز : نعم .
جوليت : هل تعي الجريمة التي ستقترفونها؟
هاركنز : وهل تعين أنك حاولت الدخول إلى هنا بأوراق مزيفة؟
جوليت : لم تكن أمامي وسيلة أخرى .
هاركنز : هذا ما تقولينه أنت .
جوليت : اعتقلني ريثما يأتي زوجي!
هاركنز : السجن مليء .
جوليت : دعني أنتظر بضع ساعات . لن يتأخروا في الهبوط .
هاركنز : لا .
جوليت : سيحكم علي هناك بالسجن عشرين سنة ، إذا لم يحدث ما هو أسوأ .
هاركنز : متأسف . إنها الأوامر . . .
جوليت : وهل الأوامر أغلى من حياة إنسان؟

هاركنز : لا علاقة بين هذا وذاك .

جوليت : لقد أعددنا للهرب طوال ستة شهور.

هاركنز : ممكن .

جوليت : ألا تصدقني؟

هاركنز : ولماذا تريدينني أن أصدق؟

تالكوت : (من وراء طاولته) عليك أن تفهمي أننا لا نستطيع أن نصدق كل ما يقال لنا .

جوليت : (لتالكوت) إني ألتمس منحي بضع ساعات فقط .

هاركنز : آخر من طلب منا هذا، ظل يعرقلنا هنا ستة شهور. وبعد ذلك . . . (ينهض ويمضي إلى طاولة تالكوت، ويمد له جواز سفر) التزوير متقن .

جوليت : ليس مزوراً .

هاركنز : أطلقي أية تسمية تشائين على استبدال صورة بأخرى . (يعود نحو طاولته)هل تريدين رؤية النسخة الأصلية؟(يمد ورقة إلى جوليت .)

جوليت : لا حاجة لذلك . كيف أستطيع أن أثبت لكم طيب قصدي؟ . . كيف أثبت لكم أني أقول الحقيقة؟

هاركنز : بالوثائق وليس بالكلمات .

جوليت : (يائسة) ماذا تريدني أن أفعل؟

هاركنز : أن تعودي إلى المنطقة السوفيتية .

جوليت : إلى أن يعلموا بأن زوجي قد فرّ بطائرة حكومية، فيعتقلونني ويحكمون عليّ، وأنتهي إلى الأبد، أليس كذلك؟ . . . وإذا رفضت العودة؟

هاركنز : متأسف جدا، لكننا سنقوم بتسليمك . لا نستطيع المجازفة بتصديق أقوالك .

جوليت : أريد التحدث مع رئيسك!

هاركنز : إنه الآن فى القيادة العامة. لن يفيدك الحديث معه شيئا. الأوامر قاطعة.

جوليت : من تظنني أكون؟

هاركنز : الشيء الوحيد الذى أعرفه هو أنك لست الشخص الذى حاولت المرور بإسمه. ولقد تكلمنا بما فيه الكفاية. يافيلد! (فيلد هو جندي، يدخل يؤدى التحية) خذ السيدة إلى بوابة المنطقة السوفيتية.

(ترضخ جوليت للهزيمة، فتتناول حقيبة صغيرة وتخرج تحت حراسة فيلد. تالكوت يقرأ، وهاركنز يراجع بعض الوثائق).

تالكوت : اسمع هذه البرقية من الأسيوشيتدبرس: " أدى احتمال التوصل إلى اتفاق للسلام في كوريا إلى هبوط الأسعار في بورصة نيويورك. وقد تراوحت الخسائر من ٣ إلى٢٥ دولاراً للسهم الواحد. وهذه هي المرة الرابعة التي تتأثر فيها السوق المالية بشدة نتيجة إشاعات من هذا النوع ".

هاركنز : هذا طبيعي. لكنهم سيعوضون خسائرهم غداً. والدك وكيل بورصة، أليس كذلك؟

تالكوت : نعم.

هاركنز : أفهم سبب اهتمامك إذن. ولكن لا تقلق، فلن تصل الدماء إلى النهر.

تالكوت : أنت تطلق أحيانا عبارات بالغة الدقة.

هاركنز : (شاعرا بالزهو) أتظن ذلك؟(ينهض تالكوت ويتمشى بعصبية) لا تأخذ الأمر هكذا. إذا ما

صلحت الأحوال في كوريا، لن يعدم مكان يطرق فيه النحاس: في الهند الصينية، في برمانيا، أو هنا بالذات...

(يخرج تالكوت، بعد أن يلقي الصحيفة. يعود هاركنز إلى عمله مزهوا بنفسه)

الجانب السوفييتي:

كوفاك، يحمل مصباحا كهربائيا في يده، ويمضي من شخص إلى آخر، مدققا في أوراق تحقيق الشخصية

كوفاك : بطاقتك الشخصية... (يمد الرجل الذي استيقظ بطاقته. يتفحصها كوفاك ويعيدها إليه. يمضي نحو شخص آخر).

كوفاك : بطاقتك...

إليكس العظيم : ألا يكفيك رؤية وجهي؟(يعطيه أوراقه.)هنا لا يقولون من أنا... يمكنك الذهاب إلى قريتي والسؤال عن المونسير غرانهوم، المونسير أليكسيس غراندهوم، ولن يعرفه أحد. ولكن اسأل عن إليكس العظيم، وسيقول لك الجميع من أكون. وهذا الاسم غير وارد في جواز سفري... كنت أعمل سعيداً في وارسوا. ولكنهم أصبحوا يضايقونني كثيرا: وثائق متعددة... أوراق للأكل، أوراق للنوم، أوراق ل... هل تعرف لماذا كانت تستخدم الأوراق فيما مضى؟

كوفاك : (بإصرار) وثائقك . . .

(يعيد كوفاك الوثائق ويمضي إلى شخص آخر)

إليكس العظيم : (يستلقي ثانيةوهـو يُتمتم)أوراق، أوراق . . . وكأننا مصنوعون من ورق .

(خلال المشاهد التالية يتـابع كوفاك مراجعة وثائق النائمين .)

في المكتب الأمريكي :

(هاركنز يترك الوثائق التي كان يقرأها)

هاركنز : أوراق! . . . (ينادي) فيلد!(يدخـل فيلد . فيمد له هاركنز ورقة .) ينقصها خاتم قيادة هامبورغ . . .

فيلد : ماذا أفعل؟

هاركنز : أعدها .

فيلد : وهؤلاء؟

هاركنز : فليرجعـوا مع أوراقهم إلى هامبـورغ . ويعودوا الينـا عنـدمـا تصبح أوراقهم قـامونيـة . ولا تـدع أحـداً يدخل الآن .

(يأخذ فيلد الورقة ويخرج .)

الجانب الأمريكي :

السيدة فرينكيل : (إلى غـوستـاف) هل تظن أن الحرب ستنشب مـرة أخرى؟

غوستاف : نعم .

السيدة فرينكيل : ولكن، لماذا؟

غوستاف : الأمر بسيط جداً: لأننا حمقى. أم أنك لم تدركي ذلك بعد؟

السيدة فرينكيل : أدرك ماذا؟

غوستاف : إننا حمقى.

السيدة فرينكيل : (مذهولة) جميعنا؟

غوستاف : لم أصادف حتى الآن استثناء يحسّن الموجود.

الجانب السوفييتي:

الرجل البدين : (ينهض فجأة، ويتوجه بالكلام إلى امرأةتبكي، قائلا لها بلهجة من لم يعد قادراً على احتمال المزيد.) أجل، اعلمي ذلك بوضوح: إنني نادم لزواجي منك. كان علي أن أتزوج من مرغريت، فهي لم تكن لتبكي على الأقل

زوجته : . بائس، بائس...

الجانب الأمريكي:

السيدة فرينكيل : لا نريد مزيدا من الحروب. كانت الحروب هي كل حياتنا، ونحن نكرهها. لقد عشنا على غير ما نرغب تماما. قتلوا أخي في فيردان عام ١٩١٧. أتعتقد أن أخي عاش وهو يتمنى تلك النهاية؟ وعاد زوجي سنة ١٩١٨ وقدفقد ذراعا، وتلفتا رئتاه أتظن ان هذا هو ما كان يشتهيه؟ أما ابني فهو أسير في روسيا منذ ثمانية أعوام، ولهذا فأنا أنتظره هنا كان قد تزوج

لتوه، ولاقت زوجته حتفها اثناء غارة جوية في برلين. أتعتقد أن هذه هي الحياة التي تحلم بها؟ومثلي هناك آلاف وآلاف. والآن يريدون أن نعود لصناعة السلاح ولنقصف ونموت من جديد يريدون أن يثيروا رماد المقابر ثانية. لا يهمني أن أعرف الهدف، لا أريد أن أعرف لماذا. لا أرغب في أن أعرف لماذا. إنني أرفض أن أسمع، أرفض أن أصغي. لست أبالي. والشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنني لا أريد أن تنشب حروب أخرى قبل أن نموت أنا وابني، وبعد أن ندفن، فليشنوا حروبهم! سأبقى هنا إلى أن يعود ابني، حتى لو لم يشاءوا. ولن تكون هناك حرب أخرى، ولن يحشروني في مصنع للذخائر. كفى. أغدا سيأتي الروس؟حسنا. فليأتوا. لا يهمني. ليحكم هؤلاء أو أولئك، لكنني أريد أن أعيش. ولن يزحزحني أحد من هذه المحطة حتى يعود ابني.

غوستاف : (بتهكم) ولكن الحرية . . .

السيدة فرينكيل : لا حرية ولا أي شيء آخر! الحرية هي نفسها مع هؤلاء أو مع غيرهم. من يحكم يحكم. فدائما كان هنا جيش وشرطة، وجباة ضرائب. فليقتلوا بعضهم بعضا إذا أرادوا ويعرفون لماذا يفعلونه - وأنا أشك في أنهم يعرفون - لا أريد حروبا. ولا أي نوع من الحروب. لا أريد نصرا ولا هزيمة، أريد أن أعيش. إني أفكر أحيانا بأن البشر قد نسوا هذه

الكلمة : العيش. العيش كيفما اتفق، ولكن العيش.

غوستاف : (بنفس اللهجة المتهكمة السابقة) الوطن أولا.

السيدة فرينكيل : أي وطن؟

غوستاف : (بذات اللهجة) لو أنك رأيت لصاً يدخل بيتك، ألن تبلغي الشرطة للقبض عليه؟

السيدة فرينكيل : ولكن أين هو بيتي؟ لقد قصفوه مرتين: في المرة الأولى قصفه هؤلاء، وبعد ذلك الألمان، أبناء جلدتنا. إذا كانت الشرطة ستحرق بيتي وتدمره لتقبض على اللص، فليهق فيه من يشاء، ودائما هنالك وسيلة للتفاهم. ما نحن؟ وماذا كنا؟ بيادق؟ أنت هنا؟، وأنت هناك!.. لا تتحركوا!.. انصرفوا!.. انسحبوا!.. اختبئوا!.. اركضوا!.. لاتزعجوا! يطردون اللص ويبقى رجال الشرطة في **البيت** لقد سئمنا عنايتهم بنا. ألا يستطيعون تركنا بسلام؟ أم انهم نسوا مايعنيه هذا: السلام؟ السلام، أن أستيقظ في الصباح الباكر، وأجلب البقرات، وأرتب الأسرة، وأدخل إلى المطبخ. بينما رجالي أصحاء، كاملين، يجلسون حول المائدة... هل أنا مجنونة لأنني أعتقد أن هذا ليس ممكنا فقط، وإنما هو طبيعي وعادي؟ ولتمر السنوات...

غوستاف : يقولون إنه يجب الدفاع عن البيت..

السيدة فرينكيل : كيف؟ فيما مضى كان الجنود يذهبون إلى الحدود ويتحاربون. حروب بين جيران، طيب. ماذا

أو ضع لي رقماً، فذلك أسهل. لقد كانت لي أسماء كثيرة، وأظن أن أحدها مازال موشوماً على ذراعي. صار من الصعب قراءته، لأني كنت سميناً جداً حين وشموني، ثم إنني لا أدري كم من الوقت مر علي دون أن أستحم. يمكن معرفة الرجال برائحتهم خيراً من معرفتهم بكلماتهم.

تالكوت : المسوح تصنع الراهب*

غوستاف : المسوح، تعني العادة. أجل. ولكن. الرائحة أكثر.

تالكوت : وأنت، إلى أين أنت ذاهب؟.. أين تود الذهاب؟

غوستاف : ليس إلى أي مكان.

تالكوت : ماذا تريد؟

غوستاف : لاشيء.

تالكوت : لماذا أتيت إلى هنا؟

غوستاف : بالمصادفة.

تالكوت : هل تفكر في العبور إلى الجانب الآخر؟

غوستاف : لا أفكر في شيء.

تالكوت : علينا أن نعتقلك.

غوستاف : حسن.

تالكوت : ماذا كنت.. تعمل سابقاً؟

غوستاف : أشياء كثيرة.

تالكوت : ماذا، على سبيل المثال؟

غوستاف : رئيس جمعية حماية حيوانات ماقبل الطوفان.

(يستجمع تالكوت مابقي لديه من صبر)

---

* في قوله هذا يوجد جناس بين كلمتي **historia** (تاريخ) و **histeria** (هيستيريا). (المترجم)

تالكوت : أين ولدت؟

غوستاف : سأقول لك ذلك لأنك شاب لطيف ياسيدي الجنرال. ولدت في إستراسبورغ. وإذا كنت تريد معرفة المزيد، فإني مخبرك بأن جدي ولد ألمانياً وأبي فرنسياً، وأنا ولدت ألمانياً وأولادي ـ لو أنني أنجبتهم ـ لكانوا فرنسيين، وذلك دون أن نتحرك من بيتنا.

تالكوت : أنت صحفي، أليس كذلك؟

غوستاف : كنت.

تالكوت : في إيزن.

غوستاف : لهذا قلت لك إني عملت في كل شيء. بدأت العمل هناك خلال حرب الـ ١٤، أي حماس عسكري! أي جيش! القيصر كان أكثر خلق الرب صفاءً. فيما بعد، وأثناء الاحتلال الفرنسي، جعلوا منا انفصاليين. وبعد ذلك أصبحنا اشتراكيين. ثم اشترانا الكاثوليكيون، وبعدها ودون جهد كبير، أصبحنا جريدة الوسط الكبرى، قبل أن نتحول إلى نازيين. وأعتقد أن الجريدة قد أصبحت الآن انفصالية وموالية للفرنسيين ثانية. ودون أن أكون متنبئاً، أراهنك على سيجارة أنها ستصبح اشتراكية غداً.

تالكوت : (يقدم له سيجارة) وبعد غد؟

غوستاف : سيكون الدود قد أكلني. وفضولي الوحيد هو أن أعرف إن كانت توجد ديدان **شيوعية**، وديدان انفصالية، وديدان كاثوليكية، ولو افترضنا

نفعل هم! حرب بين أناس يعروفون بعضهم بعضا، بين إخوان.. فليكن... ولكن الذهاب إلى أطراف الدنيا والإسقاط بالمظلات في بلد لم نكن نعرف أن له وجودا؟ لا، لا ثم لا. كل شيء من أجل الحياة، من أجل أي نوع من الحياة. وإذا كانوا يشعرون بالتعاسة فلينتحروا. يبدو وكأن جميع من في الدنيا يقولون لي موتي.

غوستاف : سيلقون بك خارجا.

السيدة فرينكيل : لماذا؟ ألأنني أقول ما أفكر فيه؟

غوستاف : لا، لكن هذه محطة عبور، وليست للذين ينتظرون. عليك أن تذهبي للإقامة في القرية.

السيدة فرينكيل : وإذا ما جاء ابني؟

غوستاف : **ستلتقيان**. فحاسة الشم العائلية عجيبة. لقد هربت من زوجتي سنوات وسنوات...

(يتوقف قطار، ويطغى ضجيجه على عبارة غوستاف. يدخل فيلد ويقول لغوستاف شيئاً غير مسموع. ينهض غوستاف ويخرج في أثر فيلد. نيكولاس وجوزيف شحاذان، يتحدثان بصوت خافت، وخلال الجدال ترتفع وتيرة صوتيهما ويسمع الحوار..)

نيكولاس : إن مجرد ازدياد عدد سكان هذه الأرض المباركة يناقض تشاؤمك.

جوزيف : وما هو تشاؤمي أنا هذا؟ أنا لا أملك شيئاً خاصاً. وإذا كان هنالك مزيد من البشر، فهناك مزيد من الغربان أيضا.

نيكولاس : تتزايد بها يتناسب مع تزايد عدد البشر. فالإنسان. بحاجة الى عدد ما من الغربان، ولديه هذا العدد.

بيترا : (مستلقية بجانبهما) اصمتا!... اخرسا تماما! اتركا الآخرين ينامون إذا كنتما لاتنشدان الراحة. لقد كنت أحلم بأني آكل فرخ بط.. عليكما اللعنة...

نيكولاس : أنت تودين النوم، ونحن نود الحديث. كيف نتدبر الحل؟

بيترا : بقنبلة.

(يتابع نيكولاس وجوزيف حديثهما بصوت منخفض.)

في المكتب الأميركي:

(يدخل غوستاف وتالكوت، يبقى الأول واقفا.)

تالكوت : من تكون؟

غوستاف : أنا؟.. لا أحد، أو هذا الذي يقولونه في الأوراق. ألا تعرفني؟ إذا كنت لاتعرفني فلماذا تريد أن أخبرك من أنا؟ ماذا ستجني لو عرفت أن اسمي لويس، أو رافائيل، أو غيدين، أو ساؤل، أو انريكي؟.. ماذا ستجني؟ لاشيء **لا شيء** على الإطلاق. لقد أعطيت أسماء كثيرة هناك، حتى أنني لم أعد أذكر الاسم الذي أطلقوه علي. أتلاحظ هذا ياسيدي الجنرال؟.. الاسم الذي أطلقوه علي، فهم لم يستشيروني في ذلك الحين، وأعتقد أن الفرد منا ليس **مسؤولاً** عن أفعال الآخرين. أتريد أن يكون لي اسم؟ ضع لي اسماً.

الطيب ، البالغ من العمر خمسين سنه ، ألماني قح : مكتنز الرأس وحليقه حتى منطقة استدارته . يقف إلى جوار الموظف السوفييتي .)

كاتب الحسابات : إنك لم تفهمني .

كوفاك : إنني أتكلم الألمانيـة . لقـد درست الألمانيـة سبع سنوات في مدرسة خاصة .

كاتب الحسابات : لا ، ليس هـذا مـا أعنيه ، فأنت تتكلـم الألمكانيـة جيداً ، إنني أقصد الآلات .

كوفاك : كم عددها؟

كاتب الحسابات : لا أعرف . يوجد منها ما يكفي .

كوفاك : هذا ليس جوابا . كم آلة أحضروا؟

كاتب الحسابات : رأيـت آلات كثيرة . فحيـث كنـت أعمـل أحضروا عشر آلات ، أو اثنتى عشرة . وكان عددنا أكثر من مائة موظف .

كوفاك : هل يفكرون في جلب المزيد؟

كاتب الحسابات : لاأدرى .

كوفاك : هذا مؤسف . . ماهي ماركة الآلات؟

كاتب الحسابات : أميركية : يوندرليز .

كوفاك : ألا يمكنك أن تصف طريقة عملها بالتفصيل؟

كاتب الحسابات : (بـاستنكار) أنـا؟ . . لكنني قررت المجيء إلى هنـا هرباً منها!

كوفاك : مؤسف .

كا[illegible]سابات : قلت لـك إنك لم تفهمني : إنهم مصممـــون على فصلنا جميعاً .

أن هناك ديدان رأسمالية. مثلكم، فإنها ستفضل البدناء.

تالكوت : أوضح.

غوستاف : ألديك وقت تضيعه؟

تالكوت : في مثل هذه الساعة، أحياناً...

غوستاف : (يجلس) أنتم تثقون بالسمان، وترتابون بالنحفاء. إنكم تعساء، تظنون أن الشحم قادر على تحمل مسؤولية القروض. لايساوي شيئاً. وسياسيوكم هم جماعة من الحمقى المساكين.

تالكوت : لايوجد لدينا سياسيون، وهذا مالم تفهموه، أوما لاتريدون أن تفهموه. فوزراؤنا كانوا، وما زالوا رجال بنوك ورؤساء شركات كبرى، وهم جميعهم معتادون على حسن إدارة الأعمال التجارية. إنهم يديرون البلاد وكأنها مصنع. وقياسهم بالمقياس الذي اعتدتم عليه لا أساس له. لقد وصلوا إلى قيادة الأمة بجهودهم الذاتية، فهم لم يرثوا شيئا، وجميعهم تقريبا تدرجوا في نظام الدرجات المتبع في متجر كبير: فمن صبيان خدمة، إلى بائعين، فموظفين مسؤولين، فوكلاء، فمدراء، فمالكين. والأفكار السياسية لاتدخل في **اللعب** عند التاجر، إلا اذا كانت تعرقل المسيرة الطبيعية للأعمال التجارية. إنهم يعيشون للميزانية والأرباح والمنافع. فالحروب لاتقاس بعدد الموتى، وإنما بتكاليفها. اسمع ماتقوله الصحيفة اليوم (يتناولها ويقرأ): "إن أسبوعاً من الحرب الشاملة يكلفنا

من عشرة إلى عشرين ضعفـا أكثـر ممـا قـدرت الحكومة إنفاقة في أسبـوع حسب ميزانيتها الجديدة للدفـاع . بعد ذلك قـال السيد تـرومان إن الحرب العـالمية الثـانية كلفت ٤٥٠,٠٠٠ مليـون دولار، وإنـه يمكن لتكـاليـف أي نـزاع آخـر أن تصل، وبسهـولة، إلى ٦٠٠,٠٠٠ مليـون دولار" . (يترك الصحيفة) لن يكون أمراً، بطولياً، ولا رائعاً، لكنه مـريـح ومفيـد . والمتفقـون يجدون جميـع الأبـواب مفتوحة دوماً، طالما لم يخلطـوا مشاعرهم بالجوارب أو بالحساء المغلب . وكما هـو طبيعي، هنا **فالصراع** ضد المنافسة . . .

غوستاف : السيء في الامـر هـو حين يملكـون الأسلحـة في أيديهم ليتمكنوا من القضاء على المنافسين . . .

تالكوت : لاتنسى أنه عنـد استخدام الأسلحـة، يجب الأخذ بعين الاعتبار عدم تدمير من يشترى هذا السلاح . إنـه سبب كـافٍ للســلام والازدهـار يجب عـدم الاستهانة به .

غوستاف : في ظروف كهـذه يصبح بإمكـان أى سياسي صغير مبتدىء أن يتلاعب بكم .

تالكوت : أنت مخطىء . إننا نكسب جميع الحروب . ونستطيع شراء أى شيء .

غوستاف : أما أنا، فلم تعد تستطيع شرائي .

تالكوت : لانك لاتريد .

غوستاف : بالضبط .

تالكوت : أأنت شيوعي؟

غوستاف : أعوذ بالله . لقد خمنت بأن حديثك وراءه شيء .

تالكوت : من أجل المال ، غيرت جيوش كثيرة جلودها ، ودافعت عن قضايا متناقضة .

غوستاف : لأني أعرف ذلك ورأيته ، لاأريد عمل أى شيء .

تالكوت : ربما استطعنا تقديم شيء لك .

غوستاف : هذا لطف منك . وأستطيع أن أخمن ما الذى تريده مني : محرر في صحيفة ما .

تالكوت : ربما .

غوستاف : لايهمني الأمر

تالكوت : مم ستعيش؟

غوستاف : من الوجبة الجماعية التي تقدمونها بسخاء .

تالكوت : هذه ليست حياة .

غوستاف : إنها طيبة مثل أية حياة أخرى ، فضلا عن ارتياح ضميري .

تالكوت : عليك أن تقضي ستة شهور أخرى في السجن . هل لديك شيء آخر؟

غوستاف : سيجارة أخرى ، من فضلك

تالكوت : (ينهض ويقدم له سيجارة) إذا غيرت رأيك . . .

غوستاف : (ينهض بدوره) بما أن ليس لى رأى ، لن يمكنني ذلك ، آسف .

تالكوت : فلتحضر في الثامنة من صباح الغد

غوستاف : لاتقلق ، ياسيدي . سأحضر في الثامنه تماما . (يخرج)

الجانب السوفييتي :

(كوفالك يدقق في أوراق كاتب الحسابات . الرجل

كوفاك : أفهم ذلك . إنه مفيد .

كاتب الحسابات : كيف سيكون مفيداً ! كيف يمكن لآلة أن تعمل مايعمله كاتب حسابات ! كيف ستجد الأخطاء! كيف ستنظم القيود المزدوجة والتعويضات وحسابات الصندوق الفرعى والصندوق الرئيسى ، وحسابات البضائع . . . !

كوفاك : إذا كانوا قد أحضروها لأداء هذه الأعمال ، **فلأن** ذلك ممكن .

كاتب الحسابات : إنك لاتفهم في أمور مسك الحسابات!

كوفاك : لا.

كاتب الحسابات : لقد درست جدولة وقيود الأرقام ثلاث سنوات ، حيث تزدوج القيود وتتضاعف ، ويظهر أربعه أشخاص : المالك ، والإدارى ، والوكيل ، والمراسلون . حصلت على دبلوم في ذلك . أتمنى رؤية صاحب مؤسسة وهو يدخل ، ويقف أمام الآلات قائلا لها : " أريد تفصيلاً من كشف الصندوق غداً ، الساعة الثانية عشرة . . ! " إن المحاسبة هي المحاسبة ، وحيث يوجد **كاتب حسابات** جيد . . . (كوفاك لايصغي إليه وإنما يدقق النظر ببعض الأوراق) إن مسك الحسابات ليس علماً فقط ، وإنما هو فن أيضاً ! ولا غنى عنه أبداً . أم انك تعتقد غير هذا؟ ألا تسمعني؟

كوفاك : لا.

كاتب الحسابات : لماذا؟

كوفاك : نحن أيضا لدينا آلات حاسبة .

(يستدير المذهول على كاتب الحسابات، فيجلس منهاراً، يائساً.)

كاتب الحسابات : والآن، ماذا أفعل؟ أنا لا أتقن عملاً آخر سوى تنظيم القيود المزدوجة في أعمدة رباعية...

كوفالك : تحول إلى عمل آخر.

كاتب الحسابات : في هذه السن؟

كوفالك : هنالك دائماً متسع لعمل أي شيء.

كاتب الحسابات : لن أستطيع.

كوفالك : بإمكان المرء أن يتعلم دائماً. لقد كنت عامل تعدين، وأنا الآن ملازم. وأريد أن أصبح مهندساً زراعياً.

كاتب الحسابات : عمرك عشرون سنة.

كوفالك : خمس وعشرون.

كاتب الحسابات : أما أنا فخمسون.

كوفالك : هنالك أعمال لا حصر لها يمكنك ممارستها. كل مافي الأمر هو أن تريد ذلك.

كاتب الحسابات : لاأريد. المحاسبة عمل مقدس.

كوفالك : موقفك هذا زائف. تفضل إلى الداخل.

كاتب الحسابات : لماذا؟

كوفالك : سأوجه اليك بعض الاسئلة.

(يخرج كاتب الحسابات مع كوفالك. يمر قطار)

في المكتب الامريكي:

(يدخل تيودور غليتش: وهو شيخ مهذب خجول.)

غليتش : أتسمحون؟ مساء الخير. لقد قالوا لي...

تالكوت : تفضل ، اجلس .

غليتش : (بأمل ورجاء) هل انتهيتم؟

تالكوت : للأسف لا .

غليتش : حتى الآن؟

تالكوت : بلى . لقد وصل الرد النهائي من واشنطن . وهو غير إيجابي . آسف . (يصمت غليتش ، ثم تظهر على شفتيه ابتسامة أرنب) أحياناً . . .

غليتش : تحدث بعض الملابسات . أعرف ذلك . ولكن لاتقلق . طابت ليلتكم . (يخرج محطما وهو يجر قدميه .)

تالكوت : (لهاركنز) إنني أتساءل أحيانا إذا لم يكن قد مسهم الجنون .

هاركنز : من؟

تالكوت : في واشنطن .

هاركنز : إنهم يعرفون مايفعلون . لماذا القلق؟

تالكوت : انظر حال هذا الرجل . أتدري من يكون؟

هاركنز : شخص يدعى غليتش .

تالكوت : إنه نابغة في اختصاصه : علم الحفريات .

هاركنز : وبأي شيء يؤكل هذا؟

تالكوت : لم يتدخل في السياسة مطلقا . ونرفض منحه تأشيرة دخول . لماذا؟

هاركنز : لأنه شيوعي .

تالكوت : شيوعي بقدر ما نحن .

هاركنز : أتريد الاطلاع على ملفه؟

تالكوت : أعرف . لقد وشت به خادمة كانت على علاقة ما

به . لكن ذلك افتراء . وقد نهتهم . دون جدوى .

هاركنز : إذا كنت ستبحث عن المرارة في كل قضية فلن أضمن لك الفلاح . افعل مثلي : يأمرون ، فأنفذ . ماذا يقول القانون؟ أبيض . إذن أبيض وانتهى .

تالكوت : عندما انتهت الحرب أرسلوني إلى دايتون .

هاركنز : دايتون ، في أوهيو .

تالكوت : أجل . لقد اعتبروها مدينة نموذجية ، مدينة أميركية متوسطة ، وسكانها أميركيون منذ أربعة أو خمسة أجيال .

هاركنز : ثم ماذا؟

تالكوت : بكل من تجاوز الرابعة عشرة لقد وشوا على أنه كان مشبوها خلال الحرب . . .

الجانب السوفييتي :

لودفيج : (لألكسندر) هل تظن أن العيش ممكن في عالم كهذا؟

الكسندر : وكيف نصلحه؟

لودفيج : لاأعرف . هذه ليست مهمتي . ولكن الأمور لا يمكن أن تستمر هكذا .

الكسندر : ولم لا؟

لودفيج : أتستطيع العيش وأنت تفكر بأنهم سيغتالونك في كل لحظة؟ لا . أو أنك ستقضي خيرة سنوات حياتك في اتخاذ الاحتياطات . . . في عدم العيش ، وسط الشكوك ، مثلما هو حال محررينا الأعزاء .

الكسندر : (يخرج صحيفته) «إن الأميركيين يحولون التاريخ إلى هيستيريا»

لودفيج : لاأحب أن يقلب الجد إلى مـــــزاح (يشير إلى الصحيفة) هل تعيرني إياها؟

الكسندر : إنها لك إلى الأبد.

(يعطيه الصحيفة.)

لودفيج : شكراً.

(يبدأ في القراءة.)

الجانب الأميركي:

هانز : لماذا لاتتوقف القطارات في المحطة؟

غريتا : أيتوقف نصفها في المنطقة السوفييتية، ونصفها الآخر في المنطقة الأميركية؟ لا. لقد أصلحوا بعض الخطوط الحديدية الميتة.

هانز : خطوط «ميتة»... ليست بالعبارة السيئة.

غريتا : هكذا كانت تسمى فيما مضى.

هانز : مامضى كان أفضل العوالم: فالجميع كانوا يتنقلون من هنا إلى هناك...

بيترا : (مستلقية إلى جوار غريتا، تنهض) أفضل العوالم! فسروا لي ما يعنيه هذا! فسروا لي مرض غيليرم! فسروه لي إن كنتم تستطيعون! فسروا لي لماذا تنتاب غيليرم نوبات الصرع، هيا! هذا هو ما أريده فقط: أن تفسروا لي الأمر.
الطبيب يقول إن الأسباب وراثية. وأنا سيان عندي، كانت وراثية أم عدوى أصابته في الشارع. فالسبب لا يهمني، وإنما النوبات وحدها هي التي تهمني. إنه طيب، طيب، طيب، ومن أفضل الناس. وتصيبه نوبات الصرع. لماذا؟ يقع، يفقد

الوعي، يملأ الزبد فمه، يخرج عن طبيعته، يصر أسنانه. يعض لسانه، يتخشب جسده، ويتشنج يتنفس بصعوبة، تنتفخ عروقه، ولا يقدر عليه أحد. وحين يصحو لا يذكر شيئاً مما حدث. عمره ثمان سنوات. لقد جُرح رأسه أثناء القصف، ففارقته نوبات الصرع لستة شهور. ثم عاودته من جديد. يرجع الطبيب ذلك إلى شفاء الجروح. ما مصيره؟

نيقولا : لن يميته هذا المرض

جوزيف : إنها العناية الإلهية.

بيترا : إني أهديك. إياها

جوزيف : لو أنك لم تنجبي أولاداً، لكنت وفرت على نفسك هذه المعاناة.

بيترا : إنه يتلوى. كما لو كان دمية.

جوزيف : به مس شيطان. واذا خلصناه من الأرواح...

نيقولا : لاتخافي. فقد أصاب الصرع قيصر وبترارك ونابليون وديستوفسكي.

بيترا : وما شأني؟ فليصيبك أنت، أو أنا. ولكن حفيدي.. لا أوضحوا لي لماذا، فسروا لي ذلك! (تنهض بعصبية شديدة) فسروا لي ذلك. (تخرج).

جوزيف : أصابها مس من جنون.

نيقولا : (برقة) لماذا؟

(يعود غوستاف ليحتل مكانه).

في المكتب السوفييتي:

(يدخل شاب صغير السن. إنه سلفادور كاسترو.

يـومي‌ء إليـــه ليبنسكي بـــرأســـه كـي يتكلم مع بوربينوف. يمـد سلفادور يده بحرارة ليصـافحه، لكن بوربينوف يشير إليه أن يجلس على كرسي.)

بوربينوف : أأنت القادم من أسبانيا؟

سلفادور : نعم يا رفيق.

بوربينوف : وكيف استطعت الوصول إلى هنا؟

سلفادور : حين يـــرغب المرء شيئـــا، ينـــالـــه (يضحك). وخصوصاً اذا كان له ساقات قويتان مثلي.

بوربينوف : هل اشتركت في الحرب الأسبانية؟

سلفادور : في الشهـور الأخيرة فقط. لقـد كنت صبيـاً صغيراً خلال الحرب.

بوربينوف : ألك أسرة؟

سلفادور : طبعا.

بوربينوف : وماذا تريد؟

سلفادور : أريد أن أعمل في الاتحاد السوفييتي.

بوربينوف : أرني أوراقك.

سلفادور : أي. أوراق! لدي كل الأوراق التي تريدها وأكثر. فأينما أمـــرّ يطلبـــون أوراقـاً وأختـــامـــاً وتأشيرات وتصاريح. (يقدم له الوثائق).

بوربينوف : كيف خرجت من أسبانيا؟

سلفادور : بـالطريقـة الوحيـدة التي سهلـوها لنـا. سيراً على الأقدام، بين الجبال. وكم كلفني ذلك من مشقة!

بوربينوف : لماذا غادرت أسبانيا؟

سلفادور : لكي أصل إلى الاتحاد السوفييتي.

بوربينوف : لماذا؟

سلفادور : كيف لماذا؟ كي أصل إلى الاتحاد السوفييتي، وأرى الرفاق وأقول لهم: هأنذا، وقد أتيت لأعمل في البلد الفاضل الوحيد في هذا العالم.

بوربينوف : هذا حسن، لكنك تدرك أننا لانستطيع الوثوق في كلمتك فقط.

سلفادور : اللعنة! ولم لا؟

بوربينوف : لأننا محاطون بالأعداء.

سلفادور : عجبا! . . أعرف هذا.

بوربينوف : علينا أن ننتظر تقارير.

سلفادور : ممن؟

بوربينوف : ممن ترى. من ساعدك على عبور الحدود؟

سلفادور : أحد موظفي البريد، وكان يريد العبور معي.

بوربينوف : كان يريد؟

سلفادور : لقد سقط في الأسر. وتمكنت أنا من الفرار.

بوربينوف : وفي فرنسا؟

سلفادور : كنت أعمل متنقلاً من ضيعة إلى أخرى، وأقترب شيئاً فشيئاً من الحدود.

بوربينوف : وكيف سمح لك الأميركيون بالمرور؟

سلفادور : لم يسمحوا لي. ولكنني مررت

بوربينوف : إلى أية منظمة كنت تنتمي في أسبانيا؟

سلفادور لم أكن انتمي إلى أية منظمة. (بنبرة ساخرة) فالأحوال هناك على ما يرام!

بوربينوف : حسن أيها الرفيق كاسترو. . .

سلفادور : أتسمحون لي بالدخول؟

بوربينوف : لا، حتى الآن لا.

سلفادور : مضى علي خمسة عشر يوماً وأنا على هذا الحال . . . كلام مع هذا، وحديث إلى ذاك. وهذا يسألني شيئا، ويأتي الآخر ليسألني نفس الشيء. وأنت مرة أخرى.

بوربينوف : يجب التحلي بالصبر.

سلفادور : لاينقصني الصبر، ولكن أعيتني الحيلة.

بوربينوف : ماذا تعني؟

سلفادور : أعني! . . حسنا أيها الرفيق. كنت أعتقد أن الأمر سيكون أسهل. ويهيأ لي أنكم تراقبونني . . . والحقيقة . . .

بوربينوف : الرفاق الذين أعطيتنا أسماءهم في اللقاء الأول لا يتمتعون بثقتنا.

سلفادور : هل ابن السيد فارغاس ليس أهلا للثقة؟

بوربينوف : كلا.

سلفادور : ولكنه كان المسئول عن الحزب . . .

بوربينوف : لقد انقضت سنوات كثيرة، وحدثت أمور عديدة منذ حرب أسبانيا.

سلفادور : قد تكون حدثت هنا، أما هناك . . .

بوربينوف : من الأفضل أن تعود إلى فرنسا، فقد يكونون في حاجة لك هناك.

سلفادور : ولكن ليس لدي وثائق.

بوربينوف : أنت تدرك أن هذا ليس من اختصاصنا.

سلفادور : لابأس. لكنني سأصل إلى موسكو.

بوربينوف : كيف؟

سلفادور : سنرى. إذا لم أصل فلن أكون سلفادور، ولن أكون جديرا بقريتي.

بوريبنوف : سنأخذك الآن إلى المنطقة الاميريكية.

(ينظر سلفادور كاسترو اليهما، ويهز كتفيه. يبتسم ثم يحيي.)

سلفادور : حسن. إلى اللقاء في موسكو يارفاق.

(يخرج ويتبعه بوريبنوف، بينما يهز ليبنسكي كتفيه.)

الجانب السوفييتي:

العجوز الأولى : لا يا سيدتي، إذا وضعت البيض في الماء الساخن أولا فستفسد الحلوى.

العجوز الثانية : هل ستلقنيني دروسا، وأنا التي صنعتها مئات المرات؟

العجوز الثالثة : متى؟

العجوز الأولى : حين كان البيض والزبدة متوفرين، وكنت أملك مطبخا.

العجوز الثالثة : لماذا تتجادلان إذن؟ فلنصفي حساباتنا وكفى: كم علبة سجائر استطعتما تهريبها؟

(يقترب الحارس، فتصمت العجائز.)

الجانب الأميركي:

جوزيف : الأمر الوحيد الذي على العالم عمله هو البحث عن طريقة لتحويل الحجارة إلى ذهب.

نيقولا : وماذا يفعل غير ذلك يا صديقي، إنه يفعل.

جوزيف : لا أمزح.

نيقولا : ولا أنا.

جوزيف : أنا جاهل، لكنني وبكل فخر، يضايقني أن يسخر مني أحد.

نيقولا : أنت بولندي، أليس كذلك؟

جوزيف : أجل.

نيقولا : إن ابنة امرأة شهيرة من بلادك، مدام كوري . . .

جوزيف : (يقاطعه) هذا فيلم أميركي.

نيقولا : ارين كوري توصلت إلى تركيب عناصر مشعة جديدة تجعل تبديل العناصر الطبيعية أمرا ممكناً.

جوزيف : وماذا يهمني في هذا؟

القس : (وقد استمع إليهما) بهذا الاكتشاف وآلاف الاكتشافات الأخرى ستفسرون كيفية نشوء العالم.

نيقولا : لا تتشكك في ذلك.

القس : إنني أعتبر الأمر مقضيا.

نيقولا : عجبا. ألست رجل دين؟

القس : نعم.

نيقولا : لا بد أن رؤساءك لا ينظرون إليك بعين الرضا.

القس : بعضهم، مثلما يحدث في كل الأمور. ما كنت أريد قوله هو إننا فيما أعتقد لن نصل إلى شيء عظيم، إذا تمكنوا من إثبات كيفية نشوء العالم والإنسان.

نيقولا : لا أشاطرك الرأي.

القس : ويبقى السؤال الأساسي دون جواب.

نيقولا : أي سؤال، من فضلك؟

القس : لماذا نشأ . . .؟

نيقولا : هذا لايعنينا.

القس : مبارك أنت

(في هـذه اللحظـة يقترب فيلد من نيقـولا ويعطيـه بعض الأوراق.)

فيلد : أوراقك قانونية، يمكنك المرور.

نيقولا : شكراً جزيلاً (إلى الآخرين) طابت ليلتكم.

(يخرج مع فيلد)

جوزيف : (للقس) به مس من جنون. . .

القس : كلنا هذا الرجل

جوزيف : والـدي لم يكن كـذلك، فقـد كـان رجـلاً بمعنى الكلمة، ولم يكن هناك من يستطيع خـداعه. لقد سرقت خنزيراً فطردني من البيت.

القس : ألم يسامحك؟

جوزيف : لم أعد إليه أبداً.

(يمضي القس إلى الخلف، ويُخرج كتـاب صلوات ويبدأ القراءة.)

في المكتب الأميركي:

هاركنز : (إلى تـالكـوت) ما الـذي دفع والـديّ لأن يعلماني الألمان؟ لا شيء يـا تالكـوت، لا شيء. اللهم إلا التبـاهي أمـام صيـدلي الناصيـة. لـو أكن أعـرف الألمانية، بشكل سيء طبعا، ما أرسلوني إلى هنا.

تالكوت : أرسلت إلى مكان آخر.

هاركنز : ولكن ليس إلى هنا.

تالكوت : هنا أو أي مكان آخر. ما الفرق؟

هاركنز : أنت تتقبل أي وضع، لكنني لا أستطيع أن أعتـاد

على هــذه البيرة التـي لا أدري أي طعم ها، وعلى أنهم لا يعرفون هنـا ما هو فريق البيسبـول. إضافة إلى كثرة الدرجات.

تالكوت : طبعا، فهذه ليست كليفيلاند.

هاركنز : أنا لا أقـول إن كليفيلاند رائعة، لكن للمرء فيها أسلـوبـه في الحيـاة. . . النـاس هنـا لن يتعلمـوا أبداً. . . لا تنظـر لي هكذا. أنت درست، أمـا أنا فـلا. ولا أجـد مـا يـوجـب على أن أحب مـا لا يروقني.

الجانب الأمريكي

(خـرج استـانيسلاو، وهـو عجـوز هـرم، ملتح، يتـدثر بمعطف ويضع لفـاعاً حـول عنقه، وقبعـة تصل إلى أذنيه. يمضي من شخص إلى آخـر سائلاً بلهجة تجمع بين الإبهام والمذلة)

استانيسلاو : ألديك ما تبيعه؟ عندي سجائر أميريكية. . .

غوستاف : لو كان لدي شيء يستحق الذكر لما كنت هنا.

استانيسلاو : لديك أسنان ذهبية. . .

غوستاف : إنها ثابتة.

استانيسلاو : إذا رغبت أدلك على طبيب أسنان. . .

غوستاف : لا، شكراً.

(يمضي استانيسلاو نحو آخر. امرأة تدعى: آنا.)

استانيسلاو : ألا تبيعين شيئا؟

آنا : أنا.

استانيسلاو : (دون أن يفقد حماسته) ألا تملكين شيئا ذا قيمة؟
آنا : لم يبق لدي شيء.
استانيسلاو : سأدفع لك أفضل من الجميع.
آنا : أتهديني سيجارة " لوكي " ؟
استانيسلاو : وماذا ستعطيني مقابلها؟
آنا : لا شيء.
استانيسلاو : (يتأملها بإمعان) إلى أين أنت ذاهبة؟
آنا : إلى قريتي.
استانيسلاو : لماذا لا تبقين هنا؟
آنا : هذه الغرفه لا تعجبني.
استانيسلاو : أستطيع أن أقدم لك أفضل منها.
آنا : لكنك عجوز جداً.
استانيسلاو : إنهم يدفعون بالدولار.
آنا : لا، لا يهمني.
استانيسلاو : لماذا؟
آنا : هكذا، لانه لا يهمني.
استانيسلاو : هل ينتظرك زوجك.
آنا : لا.
استانيسلاو : إنهم أسوأ في ذلك الجانب.
آنا : لا أظن. ولا يهمني. اذهب. دعني وشأني.
استانيسلاو : ربما لم يعد لقريتك وجود.
آنا : لكن الحقول موجودة. أنت لم تذهب أبداً إلى الريف. لا تعرف ما هو. (يهز استانيسلاو كتفيه وينتقل إلى شخص آخر: لويسا.)
استانيسلاو : ألديك شيء تبيعينه؟ إني أدفع سعراً أفضل من

الجميع . . . (ينهض غاسبار.)

غاسبار : ماذاتريد؟ لماذا تكلم زوجتي؟

استانيسلاو : سيان لدي أنت أو زوجتك. ألديك شيء للبيع؟

غاسبار : لدي صفعات إذا لم تنصرف في الحال. . .

استانيسلاو : أي زمن نعيش!

(يمر من وراء ركام الصناديق وحزم الأمتعة، ويبدو خارجا من وراء المكتب، في الوقت الذي.)

الجانب السوفييتي :

(يخرج استانيسلاو الثاني من البعد الثالث، وراء المكتب، ثم يمر بين النائمين. يتكلم بلهجة تختلف قليلا عن لهجة استانيسلاو الآخر الذي عرفناه، لكن مظهره مطابق تماماً. يقترب من غرومبوف)

استانيسلاو الثاني : ألديك شيء تبيعه؟

غرومبوف : المعدة. . .

استانيسلاو الثاني : إنها فارغة، وليس هناك من يشتريها.

غرومبوف : إلا إذا أردت شراء قميصي. . .

استانيسلاو الثاني : كم تطلب ثمناً له؟

غرومبوف : ما الذي تقدمه أنت؟

استانيسلاو الثاني : خبز، تبغ، خمرة أسلوفيسا. . .

غرومبوف : أو مسدس.

استانيسلاو الثاني : لماذا؟

غرومبوف : لأرميك برصاصة أيها الغراب الخنزير.

(يقوم بحركة كما لو كان سيضربه. فينزلق استانيسلاو إلى مقدمة خشبة المسرح، ويصل قريبا من لودفيج، يكلمه)

استانيسلاو الثاني : أليس لديك شيء تبيعني إياه اليوم؟

لودفيج : لا.

استانيسلاو الثاني : وقلمك؟

لودفيج : لم أفكر في بيعه بعد.

استانيسلاو الثاني : أما زلت تعتقد أنك ستمر إلى جانب الآخر؟

لودفيج : لقد قالوا لي: غداً.

استانيسلاو الثاني : وماذا قالوا لك أمس؟

لودفيج : الكلام ذاته.

استانيسلاو الثاني : وتصدق؟

لودفيج : لماذا تظنني هنا؟

استانيسلاو الثاني : (يهز كتفيه) أتعتقد أن معظم هؤلاء يعرفون سبب وجودهم هنا؟ إنهم يمضون من جانب إلى آخر، ثم يعودون من جديد.

لودفيج : يعودون؟

استانيسلاو الثاني : أجل. فهنا وهناك سواء. لذلك فأن أفضل ما يمكنك عمله هو أن تبيعني قلمك...

لودفيج : لا، غداً...

(في الجانب الأميركي، وفي المستوى الأول، يعود استانيسلاو الأول للخروج ويحيي استانيسلاو الثاني.)

استانيسلاو الأول : كيف حال العمل؟

استانيسلاو الثاني : سيء، سيء جداً. القادمون الجدد قلة، وهؤلاء لايملكون شيئاً. وأنت؟

استانيسلاو الأول : لا شيء. بعض الجوارب فقط. وقد بعت عددا من أقلام "الروج"...

(يصل الحارسان، فيختفي الاثنان كل في جهته. الحارسان يختفيان في الوقت الذي)

في المكتب الأميركي :

لا يريدون السماح بالدخول لامرأة، لكنها تفلت من بين ذراعي فيلد الذي يدخل في أثره.)

انجيلا : سيدي.. سيدي...

تالكوت : ما هنالك.؟

فيلد : لافائدة. لا تريد أن تفهم.

انجيلا : ما هو الذي لا أريد أن أفهمه؟ ما لا يفهم هو، ما لايمكن لعقل بشري أن يستوعبه.

تالكوت : تكلمي.

انجيلا : زوجي في فنزويلا، وليس هناك ما يمنع من أن لحق به. لكن القنصل يطالب بأن تكون لدي تأشيرة أميركية أولا كي يعطيني جواز السفر.

تالكوت : هذا طبيعي.

انجيلا : لكنكم لا تريدون منحي التأشيرة إني لا أملك جواز السفر.

تالكوت : هذا طبيعي.

انجيلا : إذن؟ عليّ أن أتعفن هنا بسبب حماقة إدارية؟

تالكوت : إنك تستخدمين كلمات حادة.

انجيلا : إنها ليست شيئاً يذكر أمام تلك التي ستسمعونها!

تالكوت : هل تعتقدين أننا مسؤولون شخصياً؟

انجيلا : طبعاً.

تالكوت : اذهبي لتستريحي. غداً سنرى ما الذي نستطيع عمله.

انجيلا : لا! فمنذ ثمانية شهور وأنا أسمع: غداً، غداً، غداً...

تالكوت : لا بد أن هناك حلاً لمشكلتك. اعتصمي بالصبر.

انجيلا : لم أعد أستطيع التحمل! لم يبق لدي نقود! أم أنك تريدني أن أذهب إلى مقهى المحطة وأضاجع أول عابر يطلب إلي ذلك؟

تالكوت : أريدك أن تفهمي أن هناك آخرين كثيرين في مثل حالتك!

انجيلا : وماذا يهمني الآخرون! الآخرون يثيرون اشمئزازي، بدءاً بك، وبك...

(تأخذ في الضحك والبكاء، وتصاب بنوبة عصبية، فيخرجها كل من فيلد وهاركنز.)

الجانب السوفييتي:

جوهان : كنت صانع اسفنج وكانت تجارة عظيمة.

وينسسلاس : اسفنج من المطاط؟

جوهان : لا، اسفنج طبيعي مزيف.

بوربينوف : اسمك ليس مجهولا لنا.

بوريس : أتوقع ذلك.

بوربينوف : ألا تخشى أن نجعلك تكفر عن خطاياك؟

بوريس : إذا خيرت بين معسكر اعتقال أميركي، أو أنجليزي، أو فرنسي أو معسكر تابع للأمم المتحدة، فاني أفضل معسكرا روسيا، حيث يتكلم السجانون لغتي. وأفضل أن تكون الرصاصات التي ستقتلني روسية (صمت) ألا تظن أني قد أتيت لأكون جاسوسا... أو مثيرا للشغب؟

بوربينوف : ربما.. من يدري..

بوريس : إني روسي، ومن حقي أن أعود إلى بلادي.

بوربينوف : وهل أنت متأكد أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وطنك؟

بوريس : إنها الأرض التي ولدت فيها، والتي يتكلمون فيها لغة آبائي. لقد سئمت من كوني أجنبيا حيا وأفضل أن أكون روسيا ميتا.

بوربينوف : وما الذي أوصلك إلى هذا الحد؟

بوريس : الليبرالية. فأنت تعلم أني كنت ليبراليا ــ ولم أزل رغم أنفي ــ لقد جبت أرجاء العالم مدافعا عن معتقدي. وما زلت أؤمن أنها العقيدة الوحيدة الصالحة، لكنني اقتنعت بعدم جدوى أية جهود اليوم.

بوربينوف : ألديك أسرة؟

بوريس : أولادي.

بوربينوف : وأين هم؟

بوريس : أحدهم في أميركا، واخر في فرنسا، وابنة متزوجة في الأرجنتين. جميعهم أثريا، وجميعهم فاشيون تقريبا، بالرغم من أنهم ينكرون ذلك. لا أعرف إن كنت تتصور نفسك وقد وصلت إلى مثل عمري، ثم تنبهت إلى أن كل ما عملته طوال حياتك كان سدى، من أجل لا شيء..

بوربينوف : ما زال هناك وقت لتصحيح الخطأ.

بوريس : لا سبيل إلى ذلك، يمكن لأحدنا أن يغير الاتجاه. التصحيح يعني نسيان ما مضى، أن ينسى الإنسان مما صنع. لا أستطيع، لا أنا ولا غيري. فليصحح الآخرون، من يأتون بعدنا.. الشباب. اما شباب عالمي فلا يستحقون سوى الازدراء فلا يهمهم أن يعرفوا.

بوربينوف : إن تراكم الأحداث الإنسانية يتزايد يوماً بعد يوم، ونتصدر نحن السوفييت مقدمة العالم.. إننا الطليعة.

بوريس : طليعة ماذا؟ طليعة عالم مقهور؟ والأنكى إنه مقهور برغبته..

بوربينوف : تعلم أنه لا يمكنك الدخول إلى وطننا بهذه الأفكار الغريبة.

بوريس : باه!.. أليس هناك من ركن منزوٍ تتركوني أموت فيه؟

بوربينوف : لا. على أمثالك أن يذهبوا إلى جزيرة مقفرة ويموتوا فيها، دون أن يزعجوا أحداً.

بوريس : لم تعد هناك جزر مقفرة.

بوربينوف : ربما يناسبك الذهاب للعمل في مصنع أو في منجم.

بوريس : إنني مثقف بائس. لا تنفع يداه.

بوربينوف : هذا ما يظنه الجميع، لكنني أؤكد لك أن الجاروف والمعول ليس من الصعب استعمالهما. فضلا عن انهما آفاقاً جديدة أمام الروح.

بوريس : أفضل السجن.

بوربينوف : طبعاً، حيث تطعَم دون عمل. لكن لم يكن عليك إلا أن تعلن في الجانب الآخر أنك شيوعي.

بوريس : لا أريد أن أكذب.

بوربينوف : وأنا كذلك.

بوريس : لا يمكنكم أن ترفضوا دخولي.

بوربينوف : لا. لكنك ستذهب إلى معسكر عمل.

بوريس : لا فرق عندي.

بوربينوف : كما تشاء.

(يشير إلى كوفالك، الذي يخرج مع بوريس).

الجانب الأميركي :

غوتبرغ : (إلى مريانو) أتكلم بجدية. أُنظر إليهم. دقق النظر، فهؤلاء الذين تراهم بشر. أتدرك ما أقوله؟ بشر. قذرون، جائعون، لا هم لهم سوى

الاكل . الحرب انتهت منذ ست سنوات ، وهيئة الأمم المتحدة واليونسكو يعملان . يقال إنهم يبحثون عن المساواة الثقافية . إنهم يرغبون في أن يقرأ الناس أجمعين الروايات البوليسية .

مريانو : أرى أنك مازلت متشائما .

غوتبرغ : لم يحدث العالم إلى مثل هذا الدرك من قبل . ولم يكن الذكاء أرخص ثمنا مما هو عليه الآن . على بوابة الولايات المتحدة . بورصة لشراء الاساتذة . والذين يتكلمون بالسوء عن الولايات المتحدة، مثلما أفعل أنا ، إنما يفعلون ذلك لأنها لم تشترهم . إني أعرض نفسي للبيع أتسمعني؟ الإنسانية قاطبة معروضة للبيع ، جميعنا نبيع أرواحنا لمن يدفع أفضل . كلنا «فاوست» ، زهور تدوسنا أقدام الخنازير . ومعذرة للنكتة ، لقد جاء وقت على الانسانية اعتقدت فيه أنها حرة .

مريانو : الانسانية؟ هكذا؟ ألم تفكر مطلقا أن هذا الذي يحدث هو ببساطة نهاية عالم وبداية عالم آخر؟ انتقال السلطة من طبقة إلى طبقة أخرى؟ وجه الصفحة الآخر مع كل الآلام التي يمثلها ذلك . وجدت العبودية ، وانتهت . ومازال الرأسمالية قائمة ، صلبة لا تبلى ، ولكنها ستبلى . وستصل الى

وينسسلاس : ولكن، ألآ يستخرج اليونانيون إلا سفنج من البحر؟

أجل. إنما الإسفنج الذي كنت أصنعه أجمل، وأرخص ثمنا. كنا نصنعه بمختلف الأشكال التي يمكن تصورها. وكنا نلصق ببعضها نتفا من الحجارة ليصبح الإغراء أكبر.

وينسسلاس : ومن أي شيء كنتم تصنعونه؟

جوهان : من الفحم، والورق، والخرق البالية. إنه سر الصنعة.

وينسسلاس : وهل كنت تعمل كثيراً؟

جوهان : أنا؟ .. لا. لكن الآخرين. الآخرون نعم. أما أنا فقد كنت أسافر إلى باريس، لندن، مدريد، أثينا.

وينسسلاس : أكنت تبيع الاسفنج في أثينا؟

جوهان : طبعا. لكنني كنت أذهب فقط لزيارة أفضل زبائننا وأدعوهم لتناول الطعام. ثم يأتي مندوبونا التجاريون بعد ذلك. لا مثيل لي في إعداد وجبة متكاملة، واختيار النبيذ الملائم لكل صنف من الطعام. مع أي شيء يشرب البورغونيا، ومع أي شيء البوليلي، ثم تأتي أفضل محاصيل العنب. أفضلها كان في عام ٣٧.

وينسسلاس : وكيف تعيش الآن؟

جوهان : على الذكريات.

وينسسلاس : ولا شيء سواها؟

جوهان : والآمال.

وينسسلاس : أية آمال؟
جوهان : أتظن أنه يمكن للعالم أن يستمر على هذه الحال؟ ستعود الأيام الطيبة.
وينسسلاس : لا أرى كيف لها أن تعود؟
جوهان : سيأتي من يكنس كل هذه القمامة.
وينسسلاس : من؟
جوهان : من؟ (سراً) الفوهرر..
وينسسلاس : ولكن...!
جوهان : هس!
غرومبوف : (يدنو منهما) ألديكما «بيكربونات»؟
وينسسلاس : أنا لا.
جوهان : لا.

(يقترب غرومبوف من الرجل البدين)

غرومبوف : (للرجل البدين) ألديك «بيكربونات»؟
الرجل البدين : لا. ولكن لا تتناولها، فحتى الطبيب لا...
(يخرج غرومبوف من المستوى الأول)

في المكتب السوفييتي:

(بوربينوف يستجوب رجلاً في خريف العمر، مغلوباً على أمره ـ بوريس إيفانوفيتش ليهمان ـ الذي كان قد دخل ذليلاً بصحبة كوفاك).

بوربينوف : ولكن، لماذا عدت؟
بوريس : لأني يئست.
بوربينوف : ليس اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بلد يائسين، ولا ملجأ لهم.
بوريس : إني متعب.

السلطة طبقة جديدة بكل ما يعني ذلك من تشدد وتصلب، ربما كانا ضروريين.

غوتبرغ : أتعتقد إذن أن جميع حيواتنا الخائبة كان لا بد لها من أن تكون كذلك؟

مريانو : أجل. وإذا لم تكن راغباً في الخدمة..

غوتبرغ : تعني أن أصبح خادماً.

مريانو : نعم. ولكن الخدم يخدمون.

غوتبرغ : لا يمكنني أن أفكر أبداً مثلما يملون علي. فأنا لا أبيع سوى جسدي..

مريانو : لا تنس أن غالبية سكان الأرض مازالوا من الأميين حتى الآن. لم يكونوا يحيون من قبل، وهم منفيون في عزلتهم. واليوم بدأوا يثقلون ميزان العالم، وسمعت عن ثقافات كثيرة كان النسيان قد غيبها.

غوتبرغ : إن كان هذا يرضيك، فأنت حر.

(يدخل فيلد ويدنو من غوتبرغ).

فيلد : من فضلك.

(ينهض غوتبرغ ويلحق بفيل)

غوتبرغ : (إلى مريانو) هذه هي المحاولة الأخيرة.

القس : ليس هناك ما هو أخير.

الجانب السوفييتي

انريك : لماذا لم تتركيني حيث كنت؟ لا أحد يعرف عني شيئاً في تلك المزرعة. كنت سأنتهي هناك مثلما

يجب : متحـولاً إلى سماد الأرض : وكنت نفعت في شيء على الأقل .

سوزان : إنس .

انريك : لا يمكننا نسيان ما نشاء .

سوزان : أتعرف لماذا كان الإنسان إنساناً؟

انريك : لست كذلك .

سوزان : قد يصـدق أي شخص آخر هـذا الكلام ، أمـا أنا فلا . حاول أن تنسى .

انريك : خمس سنـوات لا تُنسى . جرح كهـذا لا يضيع من الـذاكرة . لن يفـارقني أبداً هـذا الرعب ، ولا هـذا الجبن بعدم اختياري الموت .

سوزان : لم تجب على سؤالي .

انريك أي سؤال؟

سوزان : إذا كنت تعرف لماذا سمي الإنسان إنساناً .

انريك : لأنه قادر على إنهاء حياته . وأنا لم **افعل** ذلك .

سوزان : لأنه ينسى . فلـو أن البشر لا ينسون لما استطـاعوا العيش . ماذا سيحل بالناس لو أن كل واحد منهم تذكر أتفه الأشياء منذ وعي الدنيا؟ إن قوة الصوت تضيع في البعـد ، وإذا مـا كلمتك ، فقـد يسمعنـا جارنـا ، ولكن لن يسمعنا من هو أبعد منـه . لو لم يكن النسيان ، لانتشرت الأصوات كـاملة ولما فهم

أحد شيئاً. كل شيء يخبو ويتضاءل.

انريك : وهل نسيتني خلال هذه السنوات الخمس؟

سوزان : كيف أنساك، وأنا أعيش...؟

انريك : أرأيت؟

سوزان : المرء يتذكر الأمور الطيبة دائماً، أما الخبيث فيسقط في الظلام. أما لا يستحق الذكر، فيُمحى.

انريك : لا أستطيع نسيان ما كنته.

سوزان : كنت زوجي! حبيبي! واستعدتك. عليك أن تؤمن يا أنريك، عليك أن تؤمن بي، بنفسك، بنا، بالزمن، بما ينتظرنا، بما سنفعله، بالحياة، بالنسيان.

نريك : أنا قمامة

سوزان : أتظن أنك لم تعد نافعا لشيء؟

انريك : أجل

سوزان : أتظن أنك لن تفيدني في شيء؟

انريك : جسد ميت، حجر عثرة.

سوزان : ألديك القدرة على هجري بعد الجهد الذي بذلته للعثور عليك؟ إثنا عشر معسكرا للمعتقلين، عبارة تقال بسرعة، لكنني وجدتك، كنت واثقة من أنك لم تمت.

انريك : لست من كنت تبحثين عنه.

سوزان : ستكونه من جديد

انريك : لم توضحي لي بعد كيف تركوك

سوزان : (باسمة) لا تنسَ أن لي شيئا من الشهرة.

انريك : كان عليك أن تنسيني. أن تحبي شخصا آخر. حياة أخرى.

سوزان : لي حياة واحدة فقط، وهي ذلك.

انريك : كلما تذكرتك صعبت عليّ الحياة، ما الذي كنت تغنيه يا جميلتي؟

سوزان : (تغني برقة بالغة)

يا فارس الأراضي المقفرة،
إن كنت حقا مثلما تبدو،
فقل لي إن أنت رأيت زوجي،
في هذه الحرب يوما؟
زوجك يا سيدتي..
قولي لنا أوصافه؟
زوجي فتى أبيض،
شهم من الرجال أنيس،
لاعب ماهر في لعبة الدامة،
وفي الشطرنج أيضا.
زوجك، بهذه الأوصاف، يا سيدتي
قد صار من الأموات.
قتلوه في بلنسيا،
في بيت جنوي،
وفوق لعبة دامة

قتله ميلاني .
بكاه جمع سيدات ،
وفرسان على السروج ،
لكن أكثر من بكته
هي ابنة الجنوي ،
وجميعهم قالوا معا :
إنها حبيبته .
فإن كنت ستعشقين آخر
لا تتركيني أنا .
لا تقل هذا سيدي
سيدي لا تقل هذا ،
فقبل آن أفعله يا سيدي
ستجدني راهبة .
لا ترهبي سيدتي
فلن تطيقي الرهبنة ،
وزوجك المحبوب
تجدينه أمامك .

(صمت) أتذكر؟ لقد عدلتها . (انريك لا يرد ، ينخرط في البكاء ، ورأسه بين ذراعيه ، سنذهب يا انريكي . سنذهب بعيداً ، إلى أميركا .

انريك : (بمرارة) حياة جديدة ، أليس كذلك؟

سوزان : لا ، بل الحياة نفسها ، حياتنا ، متجددة كل يوم ، وكل منا يحتضن الآخر .

انريك : لماذا تحبينني؟ما الذي فعلته لأكون جديرا بك؟
سوزان : لا شيء سوى أنك من أحب (يدخل كوفاك ويدنو منها .)
كوفاك : انريك وسوزان هانبروث؟
سوزان : أجل .
كوفاك : تفضلا الى المكتب . (يخرجون)

(في الجانب السوفياتي ، قريبا من خط التقسيم ، يبدو هانز وهو يقرأ في صحيفة .
ومن الجانب الآخر يبدو لودفيج وهو يقرأ صحيفة أخرى .)

هانز : أتعطيني صحيفتك ؟
لودفيج : هذا ممنوع .
هانز : أعرف ذلك .
لودفيج : ما أستطيع عمله هو قراءتها بصوت عال ، ليس عاليا جدا ، حتى لا يسمعوننا . . . على ان تقدم لي الخدمة ذاتها .
هانز : حين يقترب الحراس نصمت .
لودفيج : ما هو تاريخ صحيفتك ؟
هانز : اليوم . أقصد ، أمس ، وقد تجاوزت الساعة الثانية عشرة . وصحيفتك؟
لودفيج : التاريخ نفس التاريخ .
هانز : اقرأ من فضلك .
لودفيج : (يقرأ) «خلال نحو شهر ونصف من احتلال بيونغ يانغ ، عاصمة كوريا الشمالية ، اقترف الامريكيون الدخلاء فظائع لم يسبق لها مثيل ، فقد داسوا

بفظاعة أبسط مبادىء القانون الوسطى في بلد محتل . لقد ارتكب الامريكيون جرائم قتل جماعية ضد السكان المدنيين ، واغتصبوا النساء وأهانوهن ، وسلبوا ممتلكات الشعب ، ودمروا المنشآت الصناعية والمؤسسات المدنية والمراكز الثقافية والمساكن ، محاولين بحقدهم المسعور تحويل الشعب الكوري الى كومة من الأنقاض » .

هانز : هنالك شيء بهذا الشأن في صحيفتي .

لودفيج : لنر .

هانز : لا . هذا الذي لدي ليس عن بيونغ بانغ ، وانما عن سيؤول ، عاصمة كوريا الجنوبية . (يقرأ)«خلال ما يقارب الثلاثة شهور من الاحتلال ، اقترف الشيوعيون أبشع الفظائع الهمجية . فالترويع والاعدام الجماعي بالرصاص ، وأعمال الاغتصاب تقترف يوميا . لقد مات اكثر من خمسة عشر ألف شخصا أعدم ما يزيد على الفين منهم رميا بالرصاص في فناء سجن . . . »

لودفيج : عفوا ، لكن هذا حدث في بيونغ بانغ . . . إنه هنا ، بحروف كبيرة : » اعتقل الأمريكيون الدخلاء أكثر من اربعة الاف وطني وديمقراطي والقو بهم في غياهب سجن بيونغ يانغ . وقد جرى اعدام اكثر من الفين منهم رميا بالرصاص في فناء السجن . فملأت جثثهم ستة وعشرين ملجأ من ملاجيء المدفعية المضادة للطائرات ، وثلاثة ابار وثلاثة خزانات . ثم . . . »

(يدخل الحارسان ، فيصمت لودفيج . . وحين يختفيان تتكلم غريتا ، وهي إلى جوار هانز . في أثناء ذلك يدخل اريك وسوزان الى المكتب السوفيتي ، دون كلام ، حيث يختم ليبنسكي جوازي سفرهما ، ويخرجان .)

غريتا : أنت تقول أربعة الاف اعدموا رميا بالرصاص ؟

هانز : لا . هذا ما تقوله صحيفته . صحيفتي تقول ستة الاف .

غريتا : عشرة الاف . حتى ولو كانوا نصف هذا الرقم فقط . . . خمسة الاف إنسان . خمسة الاف كائن بشري ماتوا ، أطلق عليهم النار خمسة الاف آخرون ، لمجرد انهم لا يفكرون مثلهم . . . إنني اتساءل أحيانا : كيف يفكر الكوريون في كل هذا . الكوريون الذين لا يقفون مع هذا الجانب أو مع ذاك . الذين هم كوريون وحسب . . . ايه؟ ما الذي يفكرون فيه؟ لقد ذهب هؤلاء واولئك ليتدخلوا هناك .

لودفيج : كان لا بد من حدوث ذلك في مكان من العالم .

هانز : (للمرأة)وانت ، من تكونين .

غريتا : أنا ؟

هانز : ما الذي تفعلينه هنا ؟

غريتا : أنتظر لارى إن كنت أموت وأنتهي .

هانز : من أين أنت؟

غريتا : كنت في أماكن كثيرة ، حتى انني لم أعد أعرف من

أين أنـا . إننا نبـدأ بالنسيـان إلى أن تنتهي إحدانـا بنسيان نفسها .

هانز : إلى أين تذهبين؟

غريتا : إلى هنا .

هانز : لكن هذا المكان ليس سوى محطة قطار .

غريتا : أعرف ذلك خيرا من أي كان . كنت أعيش هنا فيما مضى . وهم يـريـدون الآن طـردي ، لكنهم لن يستطيعـوا . سأرجع وارجـع إلى أن أمـوت . لاحق لاحد بأن يطرد الناس من ارضهم . لقد كان زوجي معاونـا لرئيـس المحطة ، وهـو مدفـون هناك ، بين الخطوط لحديدية .

في المكتب الامريكي :

(أدخل الخراط وبقي واقفا أمام هاركنز)

الخراط : انظر ، أول ما يلـزم لكي يصير شيئا ، وهو ان يتقن مهنة . حسن . وليكـون المرء خراطا ، فأول مـا عليه معرفته هو كيفية استخـدام المخرطة ، وهذا بالطبع لا يمكن تعلمه بقارءة مـاركس . لا أعني أن قراءة ماركس قد تـؤذي الخرائط ، لا شيء من هذا القبيل ، ولكنها في النهـاية المطاف لا تصلح الامـور . لقد تعاقدت مع إدارة قسـم الخرائط في مصنع . . .

هاركنز : أين ؟

الخراط : في ستالينغراد .

هاركنز : كم مخرطة هناك ؟

الخراط : لا ، لن اتحدث في هذا الامر . انظـر ، أنا لن اسير في

هذا الطريق . خلال الحرب اتهمت بأني متعاطف مع الحلفاء ، فاجأوني استمع الى اذاعة لندن

هاركنز : هذا جيد .

الخراط : إدخالي الى السجن ؟

هاركنز : لا ، موقفك التعاطف للحلفاء .

الخراط : آه!

هاركنز : لكنني لا افهم ما علاقة هذا بما سألتك عنه .

الخراط : انظر يا مستر انا لا اشي ولن اشي بأحد أبدا .

هاركنز : لا نطلب منك ذلك . . .

الخراط : باه ! اتظنني احمق ؟ المخرطة بالنسبة لي إنسان . حين جاء الروس وعرضوا علي عملا قبلت ، فمدينتي كانت قد تحولت بالفعل إلى رماد بعد مرور فترة من الزمن لم يعد ذلك يعجبني على الاطلاق . فهم يهتمون بالسياسة اكثر من اهتمامهم بالعمل . وهذا شيء لا يقنعني . كان لدي مساعد رائع ، مدرب تدريبا كاملا ، ويعرف مهنته خيرا من اي كان . وأظن أنهم سمعوه يبرر ــ وليس يناصر ـ مواقف تيتو . كان رومانيا أو رومانيا سابقا ، من صربيا . فارسلوه الى أحد المناجم . ساءني ذلك . ليس لاني مؤيد لتيتو فهو لا يعنيني . لكن ما ازعجني وضايقني هو أنهم وضعوا تحت تصرفي مساعدا اخر ، متعصب تماما وغير كفء على الاطلاق . لم يزعجني كونه شيوعيا ، وانما ازعجني أنه كان على أن ابدأ بتدريبه من جديد ، وفي النهاية سيتهمونه بانه مؤيد لفلان أو فلان ، فيصبح

عنـدئذ نعجة القطيـع السوداء. لا بصراحـة ، لا. وطلبت العودة الى بيتي .

هاركنز : هل وضعوا أمامك عراقيل ؟

الخراط : إطلاقـا . تأخرت الاجـراءات أكثر من ستـة اشهر ،لكن ذلك بـدا لي طبيعيـا ، وقـد تـركت هنـاك أصدقـاء كثيرين (يتبادل الأمريكيـون النظرات فيما بينهم .)أجل ايها السـادة ، بينهم شيوعيـون وغير شيـوعيين . أم انكم تظنون أن الجميـع متوحشـون هناك ؟

هاركنز : حسن (يختم جـواز سفـره ويسلمــه ايـاه . يخرج الخراط .)فلتراقبوه . . !

الجانب السوفييتي :

مارتا : (تنهض ساخطة) لا تهمني في شيء كل سياستكم الخنزيرة ! لا اريد ان اعرف شيئا عنها ! فقد سببت لي مـا يكفي من الاذى . اذا مـا صدمتني سيـارة، فلست مسؤولـة عن ذلك . اما ان يلقـي المرأ نفسه بملء رغبتـه تحت عجـلات سيـارة ، فهـذا مـا لا افهمه ! لكنكم تفهمونه فيما ارى . هل من الحق أن يحطم حيـاتي شيء لا ادخله في حسـابي ؟ لا اريد سماع مزيد من الحديث في هذا ! ألا تستطيعون ان تنسوا للحظة هذه القمامـة ؟ ما الفرق بين أن يحكم هؤلاء أو غيرهم ؟ هل سيهتمون بي ؟ هل سيهتمون بمشاكل مارتا شيدمان؟ هل سيقررون ممن سيتزوج مـارتـا ؟ هل سيحلـون مشكلـة أمي ، ومشكلـة الشقة، ومشكلـة النقود التي أقرضتها لبـلانكا ولم

تعدها ألي ؟ ام أنهم سيشفونني نهائيا من الإمساك الذي اعانيه ؟ لا ، أليس كذلك؟ لا، فأنتم لا تهتمون إلا بمن يأمر، دون ان تأمروا بانفسكم. فدائما يوجد متسع للانصياع . وهذا ما تنفعون فيه فقط . هذا فقط . ثم ماذا؟

بالدوميرو : اهدئي يا مارتا .

مارتا : كلمتك الدائمة : اهدئي ! وللصغار : اتركيهم وشأنهم ! هاهم متروكون ! وأين هم ؟
(تنفجر بالبكاء)

جوان : (لبالدوميرو)دعها . أقول لك دعها ، فهذا افضل . . إنني اعرفها خيرا منك ،

اليكس العظيم : ألا تصمتون ؟

مارتا : وما شأنك أنت ؟

اليكس العظيم : لا شيء . انظري ياسيدتي ، نشأت جميع هذه الاختلافات يوم لم يعد بالامكان نسب الظلم الى العناية الالهية .

مارتا اصمت أيها المارق .

اليكس العظيم : لست بالمارق .

مارتا : كيف لا ؟هل ستنكر . . . ؟

اليكس العظيم : الانني لا أؤمن بالعناية الالهية ؟لست انكر هذا . لا ياسيدتي ولكنني لست مارقا : إنني ملحد . (ترسم مارتا علامة الصليب)اعرف ان الكلمة قبيحة ، يكتنفها ما ندعوه «دعابة سيئة » ماذا سنفعل ! إنني أؤمن بالرجال . . . وبالنساء . . .

مارتا : لقد نلت ما تريده إذن . استعراضكما مثير للاعجاب

اليكس العظيم : لو انني آمنت بقوة إلهية لكان الأمر أسوأ . ألا ترين ذلك ؟ألم يخطر ببالك ابدا اننا نكفر عن اخطاء صانعك الاعلى؟

(تخرج مارتا من المستوى الثالث غاضبة)

الجانب الامريكي :

(يدخل اريك وسوزان من المستوى الأول .)

اريك : ألم تعد هناك استجوابات أخرى ؟

سوزان : لا . لا يمكن الشكوى . سيعيدون الينا الان جوازي سفرنا وسنغادر هذا المكان في أول قطار . . .

(يبحثان عن مكان . ويجلسان . هانز ينظر بفضول الى مريانو الذي يكتب شيئا .)

هانز : ماذا تكتب ؟

مريانو : أشعار !

هانز : أجاد انت ؟

مريانو : الا تبدلك كتابة الأشعار عملا لائقا بالرجل ؟

هانز : لا . وخصوصا هنا . الآن . ما الذي يلهمك ؟

مريانو : أي شيء .

هانز : هل انت شاعر حقا ؟

مريانو : بأي معنى ؟

هانز : أتعيش من هذا ؟

مريانو : أجل .

هانز : وهل يعود عليك بما يكفي للطعام ؟

مريانو : لا .
هانز : إذن ؟
مريانو : أنــا طبيب أسنــان . هــذا عمل جــدي ، اليس كذلك؟
هانز : وماذا تفعل هنا ؟
مريانو : سأعود الى رومانيا .
هانز : أأنت شيوعي ؟
مريانو : لا .
هانز لماذا ستذهب إذن ؟
مريانو : لأخلع أضراسا واركب جسورا للأسنان .
هانز : من أين انت قادم ؟
مريانو : من الجحيم .
هانز : ستذهب الى جحيم اخر .
مريانو : لا . ففي كل مكان يسلقون فولا .
هانز : أسير؟
مريانو : أجل . ثم بقيت بعد ذلك لأعمل في حفر الأرض .
هانز : وأنت طبيب اسنان ؟
مريانو : أتستغرب ؟
هانز : لا . هنالك كثير . . .
مريانو : حتى لا تعصر مخيلتك : كنت عاشقا .
هانز : ولم تعد كذلك ؟
مريانو : دفنتها منذ شهر .
هانز : في المانيا؟
مريانو : بل في قرية كئيبة في وسط فرنسا .
هانز : اقرأ لي ما كتبته .

مريانو : أتفهم الرومانية ؟
هانز : لا . ترجم لي .
مريانو : غير ممكن .
هانز : حاول . فلدينا متسع من الوقت حتى الفجر .
مريانو : كما تشاء . (يقرأ)

«اطلب شيئا من اتساع الافاق»
شيئا من الافاق فقط
كي ارى الانسان قادما من بعيد
جزءا من الطريق ،
مثلما يبدو في تلك اللوحات
ذات الاشجار الكاملة . . .
الميكروسكوبات والتلسكوبات تخدعنا ، والكبير جدا أو الصغير جدا يخفي عنا قدر الانسان .
اطلب قليلا من الآفاق
البعض يدعون انفسهم للريح والاخرون ساكنون ، يخلطون بين الامواج وتيار النهر . البعض يحدق في اللانهائي واخرون لا يدققون إلا في الذرة ، وحين لا يجدون انفسهم يتباكون مثل رضيع فقد أمه .
لا احد يريد أن يتذكر البارة ، او المتر او الياردة : جميعهم يتحدثون عن جزء المليون أو عما هو مكبر آلاف المرات . لا احد يهتم بما يراه بعينيه ، لأن الجميع ينظرون اما الى داخلهم أو الى ما وراء الافق . ولم يعد هناك شيء بمقياس الانسان .
الجميع ينظرون الى بعضهم بعضا مثل الغرباء .

ليس هناك من يقيس الدرب المقطوع ، والأمس القريب ، وما هو في أيدينا . »

هانز : أنظمت ذلك شعرا ؟

مريانو : أتفهم شيئا ؟

هانز : ليس كثيرا . ربما بسبب الترجمة . لا بد أنه أفضل بالرومانية . هذا الذي قلته عن الرضيع لا يبدو لي شاعريا هل انتهت القصيدة ؟

مريانو : لا . ولكن اذا اردت فاعتبرها كذلك .

هانز : اكمل . فليس لدينا ما نفعله .

مريانو : (يواصل القراءة) «الفيزيائيون هيمنوا على العالم ، وحول الفلكيون النجوم إلى اطياف . »

هانز : هذا جميل

مريانو : « فقد الانسان كل مقاس ، فصارت إبرة الذبابة نصف كيلومتر . »

هانز : مبالغة !

مريانو : لا بالمكرسكوب الالكتروني . (يواصل القراءة) «كانت القبة السماوية تدعى اسطرلابا فيما مضى . والان كل شيء يرى بالعدسات المكبرة . كل شيء كبير جدا أو صغير جدا . وكل شيء صار حكرا على المختصين . فانت لا تفهم في هذا . »

هانز : طبعا لا افهم .

مريانو : عفوا ، انها القصيدة .

هانز : ولكن هذا صحيح .

مريانو : امازلت لا تفهم ؟

هانز : في الجزئيات . لا . أما بشكل عام . فاظن أني افهم . هل انتهيت ؟

مريانو : تقريبا .

هانز : انته إذن

مريانو : ما عاد احد يفهم مالآخر والآخر هو نفس الإنسان مات الجنس البشري على يد التخصص وصار كل شيء بالجملة . اطلب قليلا من المنظور فقط . بدلة على القد ولوحة ذات أعماق .

انتهى ؟

مريانو : أجل .

هانز : لماذا ؟

مريانو : لا ادري .

هانز : هذه الاشعار . كيف تنظمها ؟

مريانو : مثل الديدان .

(حانقا) لا أجد مبررا لمعاملتي بمثل هذا الازدراء .

(يتدثر بغطاء ويحاول النوم . بينما تدخل ماريا برفقة هيرمان في الجانب السوفييتي . ويبحثان عن مكان يستريحان فيه . فلا يجدان . ويخرجان)

في المكتب الامريكي :

(يدخل فيلد . يتوجه نحو هاركنز ويقدم له جوازي سفر . فينظر اليهما . ويبحث في احدى خزائن الارشيف .)

هاركنز : اريك وسوزان هالبروث . . . أظن أن الاسم ليس غريبا علي . وما سمعته عنه ليس طيبا .

تالكوت : أهي المغنية ؟

هاركنز : أجل . سمحنا لها بالمرور منذ بضعة شهور . بذريعة أنها ذاهبة للبحث عن زوجها .

تالكوت : وقد وجدته فيما أرى .

هاركنز : كان بمقدورها اختيار سبب أقل غلظة .

تالكوت : أمن المناصرين هي ؟

هاركنز : لم يرد اسمها في القوائم . انها الان في مرتبة الشرف ، لقد غنت في مؤتمرات السلام ومن أجل الشعوب .

تالكوت : وماذا لدينا عن زوجها ؟أ

هاركنز : أمور سيئة . لانه شخص تافه ، فقد تنازعه المعتقلون وانتهى الامر كما لك أن تتصور . لهذا قلت لك إن ذهابها للبحث عن هذا لحثالة كان ذريعة واهية .

تالكوت : ألا توجد وسيلة لمنعهما من الدخول ؟

هاركنز : لا . إنهما امريكيان . ولكن لا تقلق ، سنراقبهما طوال ما بقي من حياتهما .

(يختم جوازي السفر .)خذ سفرة طيبة

(يأخذ فيلد جوازي السفر .)

الجانب السوفييتي :

(ماريا وهيرمان يعودان .)

ماريا : هذا هو الحاجز .

هيرمان : ليس الا حاجزا من الخشب ، شيء تافه للاشارة الي حدود عالم .

ماريا : الآف الكيلومترات من الحدود لا تتمثل في هذا الحاجز .

هيرمان الا تظنين بأننـا نـرى نفسينـا من الجانب الآخـر؟

: (ماريـا لا تجيب ، وتبحث عن مكان للـراحة ، ثم تجلس .) لماذا لم اخضع لما تخضعين ؟

لا تقولي شيئا . اذا لم نستطع . . .

ماريا : ماذا ستفعل ؟

هيرمان : (باسما) سأصر . مع انني مدرك أنه لا حق لي .

ماريا : على ماذا ؟

هيرمان : على انني اوقعتك في هذه المغامرة .

ماريا : لن اخسرك مقـابل أي شيء في الدنيـا . اذا كنت لا يهمك الآخرون كثيرا . . .

هيرمان : ليسوا الآخرين . إنها انا .

ماريا : اذا لم يسمحوا لي بالخروج ، ماذا ستفعل ؟

هيرمان : لا يوجد قانون بشري يمكنه منع ذلك .

ماريا : اذا لم يسمحوا لي ، ماذا ستفعل ؟

هيرمان : سنحاول بطريقة أخـرى . أتعرفين المسؤول عن هذا المكتب ؟

ماريا : رأيته مـرتين خلال الحرب . لكن الامـر ليس بيده . أهذه هي خطتك ؟

هيرمان : جزء منها . . .

ماريا : انتهاز سهو ؟

هيرمان : سنـرى . عشرون شهرا في التنقل مـن هنا الى هنـاك أليست كافية ؟

ماريا : لابد أن هناك سببا ما .

هيرمان : وتقبلينه دون أن تعرفيه ؟
ماريا : لا أقبله . والدليل أنني ألح عليهم ليعيدوا النظر في القضية .
هيرمان : (باسما) وإذا فشلنا ، ماذا ستفعلين ؟
ماريا : سأظل أحبك مثلما أحبك الآن .

في المكتب الأمريكي :

(يدخل غوتبرغ)

تالكوت : تفضل بالجلوس . ماذا لديك ؟
غوتبرغ : أتيت لأبيع نفسي .
تالكوت : ماذا ؟
غوتبرغ : أتيت لأبيع نفسي . ماذا تظنني أساوي ؟
تالكوت : كم تقدر أنت ؟
غوتبرغ : ليس شيئا عظيما .
تالكوت : ماسمك ؟
غوتبرغ : هذا لا يدخل في الثمن .
تالكوت : من أين أنت ؟
غوتبرغ : ألماني ، لكنني أتكلم الانكليزية جيدا . والفرنسية أيظا . ولهذا ثمنه . ليس غاليا ، ولكن شيء ما . وأنا مستعد لأن أقدم لكم شهادة الدكتوراة في الحقوق هدية .
تالكوت : شكرا جزيلا .
غوتبرغ : ولكن لدي ذراعان ، وساقان ، ورئة في حالة حسنة .
تالكوت : رئة واحدة ؟
غوتبرغ : الأخرى أتلفتموها لي .

تالكوت : وماذا تريد؟
غوتبرغ : لقد قلت لك : أريد العمل في الولايات المتحدة، العمل مثل بهيمة.
تالكوت : السوابق السياسية؟
غوتبرغ : اشتراكي.
تالكوت : انتسبت إلى الحزب النازي؟
غوتبرغ : نعم. بالقوة. لكنني مستعد لتخفيض عشرة بالمئة من الثمن بسبب هذه الوصمة.
تالكوت : شكرا. جزيلا. ولماذا سمحوا لك بالخروج من المنطقة الشرقية؟
غوتبرغ : لم يسمحوا لي. اجتزت الخط الفاصل على غرار ما يفعلون في أفلام قطاع الطرق. ثم وقفت في الجانب الآخر من الخط، ووجهي نحو السوفييت، فلميسمحوا لي بالدخول ثانية.
تالكوت : لماذا فعلت ذلك؟
غوتبرغ : لأني أؤمن بالحرية والديمقراطية.
تالكوت : ليس كثيرا؟
غوتبرغ : وهل هو ضرورى؟
تالكوت : وإذا لم نقبلك؟
غوتبرغ : يمكن للمرء دائما أن يزيح نفسه من الطريق... ، نحن الذين نعرقل المسيرة.
تالكوت : ألديك أسرة؟
غوتبرغ : أجل. ولكنني لا أريد رؤيتها ثانية.
تالكوت : هل يوجد سبب ما؟

غوتبرغ : هذا لا يدخل في الثمن .
تالكوت : ألن ترجع الى الجانب الآخر؟
غوتبرغ : لا .
تالكوت : حتى ولو كان ذلك لخدمة الحرية والديمقراطية؟
غوتبرغ : ولا بأي ثمن .
تالكوت : ليست مسألة مال .
غوتبرغ : المال هو الشيء الوحيد الذي يهمني . كم أساوي؟
تالكوت : لا أعرف .
غوتبرغ : عليك أن تعرف أن تكون محدد السعر .
تالكوت : حسب الطول أم الوزن أم السن؟
غوتبرغ : يمكن اقرار لائحة بذلك .
تالكوت : لست أدري إن كنت تعلم بأننا قد ألغينا الرق .
غوتبرغ : أظنك مخطئا . إذا لم تقبلوني ، فسأقتل نفسي . أتشتريني؟
تالكوت : لا أستطيع . لو كان الأمر بيدي فربما .
غوتبرغ : أنت قادر على التأثير .
تالكوت : سأحاول . تفضل بالجلوس . انتظر .
غوتبرغ : (ينظر الى الكتاب الذي كان تالكوت يقرأ فيه)أتسمح؟
تالكوت : بكل سرور، مع انني أظنه يهمك : مقاومة المواد .
(يعطيه إياه ويخرج .)
الجانب الامريكي :
(يأتي قس ليجلس بجوار مريانو .)
مريانو : أول ما تحتفظ به ذاكرتي منظر رجل ميت ، وسط

حظيرة دواجن. كان رئيس العمال، وقد شقوا بطنه ومزقوه. كان البيت يحترق. وجن جنون أمي وهي تبحث عني. وكنت ألعب لعبة الاختباء... دائما كانت هناك ثورات فلاحين. ربما هي أكثر الثورات وحشية. شئت أم أبيت، للشوارع حدود، أما الريف فلا حدود له. لقد أجبروا عشرة من رجال قريتي على النزول من المنهل. ما زلت أرى ذلك. المنهل ينحدر مائلا، مائلا، لكي تشرب البهائم... عمقه حتى القاع نحو مترين. ملأته الأعشاب انحائه، وثلاث أشجار ضخمة ـ وبعد ذلك الحقول ـ، حقول الأرض السوداء والأفق الأخضر. أجبروهم على النزول بأعقاب البنادق، وعلى التقدم بتهديدهم باطلاق النار. رفض اثنان منهم التقدم: كان أحدهما خالي بركوبيو. فأطلقوا عليهما النار في الظهر. وتابع الآخرون التقدم... لم أفهم إلى الآن كيف وصلت مع أمي إلى بوخارست. والآن أريد العودة وسأعود. وسأفعل ما أستطيع كي لا تحدث ثورات فلاحين مرة أخرى.

القس : لن يبقى برجوازيون هكذا

مريانو : لن يبقوا يا أبتاه. معذرة؟ماذا تفعل هنا؟

القس : أحاول أن أفهم...

مريانو : ليس الربح مضمونا، ما لم تترك الكتاب المقدس وتدرس ارتفاع وانخفاض أسهم البترول... في المكتب الأمريكي:

(يدخل تالكوت ويتجه نحو غوتبرغ .)

تالكوت : أخبار سيئة .

غوتبرغ : ألا أنفع ولا حتى بسعر الجملة؟

تالكوت : لا . لقد حاولت جهدي .

غوتبرغ : (يعيد له الكتاب .) مهم جدا ، غير كامل .

تالكوت : لا أصدق .

غوتبرغ : ينقصه فصل حول قدرة البشر على المقاومة ليس الإنسان مادة حقيرة . ربما هو كذلك بالنسبة لكم .

تالكوت : لا .

غوتبرغ : وحين أطلق رصاصة على نفسي ، بماذا تنصحني أن أهتف؟ تحيا الديمقراطية أم هايل ؟

تالكوت : إنها مسألة ذوق شخصي .

غوتبرغ : عن إذنك إذن ، سأصرخ : تحيا القمامة !

(يخرج مسدسا ، ويصوبه إلى صدره ، يطلق النار ، يسقط . يهرع تالكوت ، ويدخل فيلد . ويحمل الاميركيان الميت . لقد سببت الطلقة هرجا ومرجا شديدن بين المتجمهرين في الجانب الأميركي ، الذين تزاحمون لينظروا من خلال الزجاج)

أصوات : ما هذا؟ ماذا حدث؟ ألا تتركون أحدا يرى! افسحوا لي مكانا! لا تدفع! لاأعرف . لم أسمع شيئا! . شخص أطلق رصاصة على نفسه . ماذا حدث؟ من هو؟

(يخرج القس من المستوى الأول .)

هانز : أسوأ ما في الأمر هذا الجمود . فحين نذهب ، إذا

ذهبنا، سيأتي آخرون ويستمر كل شيء على حاله .

مريانو : أتظن ذلك؟ لا تشابه ولا حتى بين الدقائق، وهذه هي عظمة الدنيا .

الجانب السوفييتي :

(هرج ومرج في مؤخرة خشب المسرح . امرأة تصرخ محتدمة .)

امرأة : اهـــدأ أيها الخنـــزيـــر! وإلا سأحطم وجهك! . . . اذهب! ماذا تظن نفسك؟(يخرج رجل راكضا .) وكأن ما تتحمله إحدانا في البيت غير كاف!

جوان : أي بيت ؟

امرأة : أغلق فمك!

(يتمتم عدد من الموجودين طالبين الصمت . يمر الحارسان .)

ماريا : كيف أدعك بعد كل الذي بذلته لاقتناصك؟

هيرمان : ما بذلته أنت لاقتناصي؟

ماريا حتى ولو لم تصدق أيها المغرور. . .

هيرمان : ولكنني أنا . . .

ماريا : دعك من الأوهـام . فقـد كنت معجبـا بـ "ليسينكا" .

هيرمان : لا .

ماريا : كيف لا؟كنت تخرج معهـا كلما سنحت لك الفرصة، بينما تضطـرم النار في صدرى ورأسي متسائلة عما أفعل لتنتبه إلي . أتذكر لقاءنا في المتحف؟

هيرمان : أجل .

ماريا : أتظنه كان مصادفة؟

هيرمان : لم أفكر في بالأمر .

ماريا : فكــر إذن أيها الــرجل الخارق الــذي لا يشك في شيء ، فكــر . كنت أعتقــد أنك ستدعــوني لتنــاول شيء . أتذكرك تلك النزهـة؟ والحفلة الراقصة في يوم الجيش الأحمر ، أتذكر كيف بقيت دون رفيق؟

هيرمان : كان لدى «ايف» ارتباط آخر .

ماريا : ومن وفر لها ذلك؟

هيرمان : (ضاحكا) ياميكافيلتي الصغيرة!

ماريا : اضحك . . . من كان سيجـرؤ على القول لي خلال الحرب اني سأعشق ألمانيا . . . !

هيرمان : هل أنت نادمة؟

ماريا : مطلقا . ولن أندم أبدا مهما حدث .

هيرمان : انتظري حتـى نصل إلى أميركا ، إلى المنطقـة المدارية إلى الشمس . يــا مــاريــا ، الشمس على مــدار السنة . الشمس التي ما كـان للبشر أن يفعلوا شيئا يستحق الذكر دونها .

لوقا : (وهو بجـانب ماريا .) آأنتما ذاهبان إلى أميركـا؟ أنا كذلك ! أنتظر فقط أن يرسلوا لي ثمن تذكرة السفر

ماريا : ألديك أسرة هناك؟

لوقا : لا . ولكنهم سيرسلـون لي التـذكــرة . لقـد أخبرتني مــاروسكـــا بـــذلك الاسبـــوع الماضي . . . إنها زوجتي . وهي متوفية منذ ثلاث سنوات . وقد كررت علي ذلك ليلة أول أمس . أنتما لطيفان . إذا رغبتما ،

سنقوم بالرحلة معا. الخدمة في السفينة رائعة. صحيح: أنا سأذهب إلى أميركا، إلى أميركا الطيبة، الجنوبية، فما زال هناك خدم. ما الذي يمكن انتظاره من عالم على الرجال فيه أن يقوموا بغسل الأطباق أو كنس غرفهم؟ أي مفهوم يمكن أن يكون لديهم عن الحياة؟ لا يمكن فهم عالم بلا خدم.

ماريا : وما هو مفهوم الخدم عن العالم؟

لوقا : (غاضبا) أنا كنت رئيس خدم يا آنسة خدم سعيد. وكانت ماروسكا "جرسونة"، "جرسونة" سعيدة. الاميركيون لا يعرفون كيف يأكلون، لكنني سأعلمهم.

(يخرج فخورا بنفسه، فيصطدم بكوفاك الذي كان داخلا.)

كوفاك : (لماريا وهيرمان) ماريا ايفانوفا بورناسياس؟

ماريا : نعم.

كوفاك : اتبعيني بحقائبك.

هيرمان : وأنا؟

ماريا : الرفيقة فقط. لا شك أنك ستعبر فيما بعد.

هيرمان : سآتي معك.

اهدأ.

إلى أن أتعب وأبدأ في الصراخ...

(يخرج هيرمان وماريا وكوفاك)

الجانب الاميركي:

غاسبار : (إلى لويسا) لا تتحركي ولا تكلمي أحدا! سأعود حالا.

لويسا : إلى أين أنت ذاهب؟

غاسبار : (رافعا أحد أصابعه إلى شفتيه) هس!

(يخرج من المستوى الثالث. ثم تخرج لويسا بدورها منسلة بهدوء.)

الجانب السوفييتي:

(تستيقظ الطفلة. والدتها لا تكف عن التدخين.)

الطفلة : ماما، لقد قلت لي إنك ستعطيني شوكلاتة عندما نصل.

الأم : وأكرر لك ذلك.

الطفلة : ومتى سنصل؟

الأم : لا أعرف.

الطفلة : ألا تخدعينني؟

الأم : لا أخدعك. نامي.

في المكتب السوفييتي:

(دخلت ماريا.)

ليبنسكي : لقد قمت بمساع جديدة لتحصل على إذن للخروج يا رفيقة بورناسيان. يؤسفني أن أقول لك إن النتيجة كانت سلبية وإن الحاحك على هذه المسألة ليس امر طيبا.

ماريا : ليس لإلحاحي على الخروج إلى الخارج أية أسباب سياسية.

ليبنسكي : لا يمكن تقييم رغبتك من هذه الزاوية. فأنت تعرفين جيدا، مثلما أعرف أنا، أنه لا يمكننا أن نعرض أنفسنا لأي خطر.

ماريا : لكنني . . .
لينسكي : هذا الأمر .
ماريا : على زوجي أن يذهب إلى فرانكفورت .
لينسكي : سيذهب .
ماريا : إنه لا يريد القيام بالرحلة دوني .
لينسكي : ليس سرا أنكما تفكران في الذهاب إلى أميركا الجنوبية بعد ذلك .
ماريا : وهو كذلك .
لينسكي : ها هو جواز سفره معي ، جواز قانوني
ماريا : وأنا؟
لينسكي : لا فائدة في إلحاحك . لقد شغلت مناصب أهل الثقة . ومازال الحزب يوليك هذه الثقة .
ماريا : إنه لا يبرهن على ذلك .
لينسكي : يجب أن لا نستخف أبدا بقوى الخصم ولا بأحابيله . وعلينا أن نتقي الداء ونحن أصحاء .
ماريا : سأحاول إقناع زوجي بالبقاء .
لينسكي : كان عليك أن تفكري في هذا من قبل . لا فائدة الآن . فهو ليس مواطنا سوفيتيا . لقد منح تأشيرة الخروج . وعليه أن يغادر المنطقة .
ماريا : لكننا يحب أحدنا الآخر!
لينسكي : (من الذاكرة) ' إن الدفاع عن الوطن واجب مقدس على كل مواطن من مواطني اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية . '
ماريا : أولا تخشى من أن إجراء . . . جذريا كهذا ، قد يجعلني أغير آرائي؟

ليبنسكي : سيكون ذلك أهون الشرين .

ماريا : سأواصل الإلحاح .

ليبنسكي : رفيقة بورناسيان : أنصحك كصديق ورفيق بأن تتخلي عن هذه المحاولة وتتغلبي على المحنة . فكري في النضال العظيم الذي التزمت به وتصرفي كشيوعية جادة .

ماريا : ولكن . . .

ليبنسكي : إنني أعرف أو أتوقع كل ما يمكنك أن تقوليه . . . ومن آجل مصلحتك أرجوك أن ننهى هذه المقابلة .

(ينهض . تتردد ماريا للحظة . وتخرج .)

الجانب الأميركي :

(أندريه غابار وسيرجيو موستروفيتش يتمشيان يرتدي كلاهما ثيابا مثل ثياب غيرهما ، مع معطف لائق . وكلاهما في الخمسينات من العمر .)

غابار : لا وجود للثقافة دون روح ناقد حرة

موستروفيتش : ولن توجد بهذا الروح وحده .

غابار : إن من في اليمين ومن في اليسار يريدون ، على حد سواء ، القضاء على تلك الروح ، دون أن تغنيهم الطرق التي يلجأون إليها لفرض سلطانهم ما يهمني هو إنقاذ الروح الناقد الحر تلك . وهذا السبب قبلت الذهاب إلى هذا المؤتمر للكتاب ، دون أن أبني على ذلك أوهاما كبيرة .

موستروفيتش : حول ماذا؟

غابار : ربما لن يسمحوا لي بمجرد الكلام .

موستروفيتش : ما كانوا سيدعونك .

غابار : ربما فكروا بأني لن أقبل الدعوة .

موستروفيتش : لا تحسبنا أطفالا إلى هذا الحد . والدليل أنني جءت لانتظارك .

غابار : كنت راغبا جدا في التحدث إليك . إنه نضال الأقلية ضد الجمهور، نضال الحرية ضد جميع أشكال الدكتاتورية ، ضد الآراء المفروضة ، إنه لقاء حاسم للحضارة ضد البربرية .

موستروفيتش : القضية هي في الاتفاق حول ما هي الحضارة والبربرية . الحضارة بالنسبة لك هي المعرفة العميقة لبضعة أفراد ، والبربرية هي الابتذال . أما بالنسبة لي فالأمر على عكس ذلك تماما .

غابار : يمكننا مناقشة ذلك .

موستروفيتش : هذا ما أنتظره . ولا أخفي عليك بانه كانت هناك جماعة لا تريد توجيه الدعوة إليك . ودافع آخرون عنك : أنت لم تستلم للامبريالية الاميركية . وإذا ما خيرت ، فانني متأكد من أنك ستكون معنا .

غابار : إنني أرفض رفضا حاسما أن أختار ، مثلما تقول .

موستروفيتش : (ضاحكا) يمكنك أن تختار دوما بين معسكرات اعتقال هؤلاء أو أولئك .

(يخرجان .)

في المكتب السوفيتي :

(في أثناء ذلك ، يدخل هيرمان وكوفاك .)

هيرمان : (إلى ليبنسكي) انظر ، الأمر بسيط جدا . ولشدة

بساطته لا أستطيع توضيحه . فأنت الشخص العشرون الذى أقول له ذلك .

ليبنسكي : إنك تضيع الوقت .

هيرمان : وماذا يهمني الوقت! لماذا أريده؟

ليبنسكي : أنت لا تريده . أما أنا فوقتي محسوب .

هيرمان : من الأفضل أن أصمت إذن .

ليبنسكي : إنني هنا للاستماع إليك .

هيرمان : (غير مصدق ما يسمعه) حقا ؟

بوربينوف : الموظف السوفييتي لا يكذب .

هيرمان : اسمي هيرمان شولتز . أنا مهندس ألماني . ولدت في ١٨ حزيران ١٩٢٢ ، في فرانكفورت . لم أنتسب إلى الحزب القومي الاجتماعي . وقعت أسيرا في غابلنز ـ Gablonz

في جابلونك Jablonec

حين وقعت أسيرا في . . . (يصحح) جابلوك ، تطوعت للعمل فى مصهر حديد . وهناك تعرفت على ما ريا ايفانوفا ، وتزوجنا . والآن أريد العودة الى فرانكفورت . لقد توفي أبي وأنا أملك بيتا هناك .

بوربيوف : (ينظر في ورقة) كل ما قلته صحيح . هذا جواز سفرك . سيرافقونك الآن إلى المنطقة الغربية .

هيرمان : وزوجتي .

ليبنسكي : لن تستطيع مرافقتك الآن .

هيرمان : إني أرفض الذهاب إذن .

ليبنسكي : اسف ، لقد أقرت اجراءات خروجك ولا سبيل إلى إلغائها .

هيرمان : لكن هذا فظيع .

ليبنسكي : أرجوك أن تدرك بأن أي مظهر للعنف قد يفاقم من سوء حالتك ، وحالتها ايضا . لا تضطرنا إلى اللجوء إلى القوة .

هيرمان : وإلى ماذا تلجأ الآن ؟

ليبنسكي : أنا لا أقدر هذا النوع من الذكاء .

هيرمان : سيسمعونني حتى في موسكو!

لبنسكي : افعل ما يحلو لك أيها الرفيق كوفاك ، رافق السيد .

هيرمان : أريد أن أودع ماريا !

ليبنسكي : لماذا؟صدقني أن هذا سيكون أسوأ ، ولن يجدي شيئا .

هيرمان : أيصعب عليكم . . .

(كوفاك يقف إلى جوار هيرمان ، الذى يدرك عدم جدوى أى اعتراض . يخرجان . يعود ليبنسكي إلى أوراقه ، يرفع عينيه .)

ليبنسكي : (إلى بوربينوف) هل درست ؟

بوربينوف : قليلا .

١)عند تمثيل العمل ، وإذا رأى المخرج أنه من المناسب ترك استراحة ، فيمكن انزال الستار هنا . ثم يبدأ الممثل التالي بالعبارة التالية مباشرة .

ليبنسكي : لدينا غداً حلقة بحث

بوربينوف : أعرف .

ليبنسكي : عسى ألا يحدث لك مثلما حدث في الاسبوع الماضي

بوربينوف : لقد أخطأت في الصفحة .

ليبنسكي : لايمكن غفران عدم معرفتك أن ما يتعلق بالمؤتمر الخامس للسوفيتيات يرد في الصفحة ٢٨٤ من تاريخ الحزب . . .

(يعودان للاستغراق في عملها .)

في المكتب الأميركي :

(يدخل غاسبار بأدب واحترام بالغين ، متسللاً لدى دخول هاركنز .)

غاسبار : (هاركنز) بعد إذنك

هاركنز : ومن الذي سمع لك بذلك؟

غاسبار : لا أحد .

هاركنز : انتظر دورك .

غاسبار : لا . . . فأنا لا أريد سوى تسليم هذه المذكرة . (يمد له ورقة)

هاركنز : ما هذا ؟

غاسبار : قائمة مفصلة بكل ما انتزعوه مني في قريتي ، في بولندا . . .

هاركنز : ولماذا احتاجها ؟

غاسبار : لتأخذ علماً وتعيدوها إلي غداً . . . فقد كنت دوماً من أنصار الديمقراطية . . .

هاركنز : تفضل بالخروج من هنا .

غاسبار : لقد قالوا لي . . .

هاركنز : ماذا قالوا لك ؟

غاسبار : إنكم تسجلون قوائم بهذا الخصوص . . . (*)

هاركنز : الذكي فيما أرى هو أنت . تحقيق شخصيتك من فضلك .

غاسبار : إنه ساري المفعول . . . ومع زوجتي هناك في الخارج .

هاركنز : أحضرها إذن ، وبسرعة . . .

غاسبار : حالاً ، حالاً . . . عن إذنك .

(يخرج راكضاً ، في اللحظة التي يدخل فيها السيناتور ، يرافقه تالكوت وفيلد . تالكوت يقدم هاركنز .)

تالكوت : الملازم هاركنز ، السيناتور بينبي .

السيناتور : إنني سعيد جداً ، سعيد جداً . لقد تجولت في ست مدن المانية ، وهم سعداء في كل مكان باحتلالنا . إنهم يرون بأعينهم للمرة الأولى ما تعنيه المدينة . ما يحتاجون إليه هنا هو دورات المياه . دورات مياه جيدة . حين نبعث إليهم بها ، سيصبح كل شيء على مايرام . الناس سعداء ، سعداء بشكل إيجابي بنظام حريتنا . من المفرح رؤية العلم المخطط ذا النجوم في كل مكان . أكثر مما هو في الولايات المتحدة . لايوجد مثل أن يكون المرء خارج بلده ليدرك عظمة الوطن . ألديكم ما تقولونه لي ؟

هاركنز : أود . . .

---

*) جناس آخر في هذا السطر ، والذي يليه ، بين كلمتيListas (قوائم) ، و Listo (ذكي) .

السيناتور : أهو أمر مهم ؟

هاركنز : بالنسبة لي ، أجل .

السيناتور : أنت تدرك أنني لم آت من كل هذا البعد لأهتم بشؤون شخصية . كان الألمان راضين ومستعدين للدفاع عن حريتهم الحالية في مواجهة اضطهاد بلد لا يسمح لي وضعي الرسمي بتسميته ، ولكن لا يخفي عليكم أي بلد أعني . أجل ، دورات مياه ، كثير من دورات المياه ، وأسلحة للدفاع عنها . أليس شعارا جيدا ؟

تالكوت : عظيم . هل أنت ممن يعملون في صناعة دورات المياه أيها السيناتور

السيناتور : صانع أغطية خزانات ماء لدورات المياه خصيصا . أتلك هي المنطقة السوفيتية ؟

تالكوت : أجل أيها السيناتور .

السيناتور : يمكنني القول إنني كنت في خط المواجهة . أليس كذلك إيها السادة ؟

تالكوت : هذا شعار جيد .

السيناتور : إنني سعيدأيها السادة . لقد أسعدتني هذه الجولة التفقدية . كل شيء على ما يرام . طابت ليلتكم .

(يخرج وبرفقته تالكوت وهاركنز . يمر قطار .)

الجانب الاميركي :

(يدخل غابار وموستروفيتش ، متمهلين .)

موستروفيتش : كيف لا يوجد مخرج ؟ هل أصابكم الجنون ؟ والعالم ؟ والريف ؟

غابار : الشمس تشرق على المقابر أيضا.

موستروفيتش : طبعا، وتنمو الأعشاب! إنكم ترفعون صراخكم حتى يبلغ عنان السماء إذا ما توالد مائة ألف أو خمسمائة ألف برجوازي. هذا هنا. ولكن متى كان هناك أثرياء في العالم أكثر مما هم الآن؟ متى ارتفعت قيمة أرباح الأسهم كما هي عليه الآن؟

غابار : متى ازداد عدد البؤساء

موستروفيتش : متى تزايد الأمل؟ من السهل الانقياد لليأس بجبن. فالجبن ليس سوى ملجأ، ليس سوى نسيان للإرادة. كل هؤلاء الكتاب الذين بلا نبض، القانطين بلا درب، الخامدين يتقيؤون أحشاءهم عند مفترق الطرق، أعني: الذين بلا روح، هم الذين يهللون بأنهم يملكون الروح! تقطفت أنفاسهم وتدلت ألسنتهم، ولا يستطيعون تحريكها، هزمتهم الريح نفاهم العالم، بينيلوبات* ضيقي السبيل، ضجرين من أنفسهم ومن الآخرين...

غابار : ألا تظن أن لديهم بعض الحق؟

موستروفيتش : إنه ذنبهم، إيمانهم بالخطيئة الأولى، خالطين بينها وبين الوجود جالدين أنفسهم بالسياط.... مفتقرين إلى الجذور. ناسين شرف كونهم بشراً. تاركين الداء يتحكم فيهم، دون أن يحاولوا بتره،

---

*) بينيلوبات: جمع بينيلوب، وهي بنت ايكاريوس والحورية بيريبويا، وزوجة البطل أوليس كما جاء في الأوديسة لهوميرو. (المترجم)

شاعرين بـالمهانة لكونهم ولـدوا، يقودهم القصور إلى أسوأ مكان. إنهم أيـوبون ** يرثى لحالهم، بلا مدينة مفقودة وبلا رب يلـوذون به. وهذا هو أكثر ما يثير حفيظتي: فلو لم يكونوا ملحدين لانتظروا المنّ الـــذي سيأتيهـم فيما وراء القبر، ولكن لا؟ يفكرون بأنه لا يوجد لحياة غير هذه. ولذلك فإنهم يلوثون أنفسهم بقذارتهم وقذارة الآخرين. وهذا هو الأسوأ. ويكـونون أشد سعادة كلما كانت القذارة أكثر نتانة.

غابار : هذا يكفي.

موستروفيتش : لا. ويمكنك أن تخمن أنـه لا شيء من هذا مـوجه إليك. ولكن إذا لم يسـاعـد الإنسـان نفسـه، سيساعده؟ عبدة آرائهم.

غابار : توجيـه الانتقادات اللاذعة أمـر سهل. ولكن أي عـلاج تطـرح؟ تنشـده أن يتغنـوا بقيـادة حـزبك المجيدة، المعصـومة عن الخطأ؟ هل علي أن أكتب روايـة أبـرز فيهـا أنـه على العمال أن يصـاعـوا للشعارات السديدة لقادة البوليتـاريا العالمية الذين لا يكتفـوا أبـدا بما ينالـونـه من المديح؟ وأنـه على الشيـوعي الصـالـح أن ينتهي دائما إلى الـزواج من

**) أيوبون: جمع أيوب. (المترجم)

الشيوعية الصالحة، ما لم يفقد حياته بشكل بطولي؟ لا أجيد كتابة المنشورات ولا الروايات الوردية. أم انك تصدق أن الانسانية لا تتمنى شيئا آخر ؟ وأن الناس لم يملوا من كثرة النهايات المجهزة المتوعة ؟ وإذا لم يكونوا كذلك، فالأمر أسوأ. فعالم كهذا، هندسي وبلا أخطاء، لا يهمني. من عن مكانك.

هيلدا : شكراً جزيلا.

(يخرج ليبنسكي ثم يعود ثانية ليسأل.)

ليبنسكي : ما اسمه ؟

هيلدا : بطرس. بطرس بلوم.

(يختفي ليبنسكي ثم يخرج بوربينوف أيضاً، وفي أثناء ذلك، يمر الحارسان.)

في الجانبين :

هانز : (إلى لودفيج.) واصل القراءة.

لودفيج : " العمل مسألة شرف. وقد ثبت في الشهور الأخيرة أنه بسبب تغيب العمال عن مراكز العمل، فقد الاقتصاد الوطني عدة ملايين من ساعات العمل، مما يعني خسارة ملايين كثيرة من الزوليطات*. "

هانز : هذا لا يتعلق بنا

لودفيج : لا. إنه خطاب وزير بولوندي

هانز : إكمل

لودفيج : إن مشروع قانون الانضباط في العمل جاء ثمرة مطالب المراكز الكبرى لجماهير الشغيلة. "

---

*) وحدة النقد البولوندية

هانز : لست أدري من أين يخرجون بهذه النظريات. كان الناس فيما مضى يشتغلون لكي يستطيعوا العيش، ويريدون من الناس الان أن يعيشوا لكي يشتغلوا. كان المرء ينتهي من العمل منهكا ولاعنا ما عمله، يريدون منه الآن آن يعود لينام سعيدا. آن يقوّم ما أنتجه، وهو منهك. كان كل ما يشغل تفكيري هو أن أستريح. ولست أرى آية متعة في قلب كل شيء رأساً على عقب من أجل البقاء.

لودفيج : فكر في أولادك.

هانز : أولادي؟ فليعملوا! أكمل، لنرى الجديد الذي ابتدعوه.

لودفيج : " عند دراسة مشروع القانون، آكد الوزير ان العقوبة على عدم الحضور إلى العمل والافراط في الشراب ستطبق تدريجيا. وفي حالة وقوع حادث ذي خطورة خاصة، كامتناع عامل، مثلا، عن الحضور إلى عمله لمدة أربعة أيام أو أكثر خلال السنة الجارية، بالرغم من انذاره وإنزال العقوبة الانضباطية به، فإن مشروع القانون ينص على اللجوء إلى عقوبات تفرضها المحكمة. "

هانز : ولكن، هل هذا جدي؟

لودفيج : جدا. أتريد مزيدا من التفاصيل؟ هنا يحددونها: " في حالات من هذا النوع، يُجبر المتمادي على أداء العمل الذي كان يمارسه سابقا،

هيلدا : ولماذا الأسف؟

بطرس : لاننا لا نستطيع البقاء معا، كما كنت أرغب.
هيلدا : إنها بضعة شهور.
(صمت قصير)
بطرس : ألا تسألين عن أبي ؟
هيلدا : إنه في حالة طيبة، أليس كذلك ؟
بطرس : عادي ليس إلا.
هيلدا : هنا يوجد أطباء أفضل. ولكن، إذا كان لا يريد المجيء . . .
بطرس : إنك تعرفينه.
هيلدا : لسوء الحظ.
بطرس : مؤسف انكما لا تستطيعان التفاهم.
هيلدا : من الأفضل ألا نتحدث في هذا الأمر. أتعرف اني كنت في واحد من **معسكرات الخدمة الوطنية** ؟
بطرس : لا. متى ؟
هيلدا : ألقيت بعض المحاضرات منذ خمسة عشر يوماً.
بطرس : الذهاب إجباري، أليس كذلك ؟
هيلدا : لجميع الشبان ما بين السابعة عشرة والعشرين. لحث الدافع الخلاق لدى الجيل الشاب في عملية إطلاق قوى وطننا العاملة وثرواته.
بطرس : هذا ما يقولونه.
هيلدا : ألا تؤمن به ؟
بطرس : ولم لا ؟
هيلدا : أراك غير متحمس. لا تتصور أنها عملية خداع حمقي. ولا تخشى من إضاعة الإجازة الترفيهية. أنت بولندي، نعم أم لا ؟

بطرس : أنت تعرفين ذلك خيرا من أي كان .

هيلدا : إن تعبير " فيه شيء جارح . ولكن أبعد عن ذهنك ذكري زمن هتلر. العمل اليوم ليس اكراها، وإنما هو خدمة مبهجة لا بد من إسدائها للوطن .

بطرس : أجل " البهجة في العمل " .

هيلدا : لا تعجبني اللهجة التي تستخدمها .

بطرس : اعذريني .

هيلدا : سترى ! ستعمل في إنشاء الطرق، أو خطوط السكة الحديد، أو الموانيء وغدا، عندما ترى هذه المنشآت وهي تشتغل، ستشعر بالسعادة حين تتذكر أنك أسهمت في بنائها . وستكتسب كلمة عمل معنى جديدا لديك .

بطرس : إلى أن تأتي حرب أخرى وتدمر ما بني أو ما أعيد بناؤه .

هيلدا : لن تكون هناك حرب أخرى ! نريد السلام، مع خصم يتراوح بين عشرة وخمسة وعشرين بالمئة من أجره، ولكن لا يمكن فرض هذه العقوبة لفترة تتجاوز ثلاثة شهور. "

هانز : لحسن الحظ .

لودفيج : (يقرأ) " وبعد سنة من العمل المتفاني الذي لا تشوبه شائبة، يمكن للعامل المعاقب أن يطلب محو أي ذكر متعلق بالعقوبة من ملفه القضائي . وبعد ثلاث سنوات من العمل النزيه يمكن اختياره ليمنح وساما . ولقد أبدت جماهير الشغيلة البولندية حماساً كبيراً . . . "

هانز : فلتقنع بهذا من تريد . . . إنه انتقال من البطالة الإجبارية إلى العمل الإجباري . وإذا ما أتيح لي الاختيار . . . حسنا . لن أجادل في الأمر بل من الأفضل أن أجادل : لكل حسب جدارته ، حسب عمله ، حسب إنتاجه . ولكن ، أية عدالة هذه ؟ ما ذنب الأبله في أنه ولد أبله ؟ أو ضعيف اليدين ؟ أو العاجز ؟ أو الكسيح ؟ لماذا يعيش الذكي أو القوي حياة أفضل إنها عنصرية كأي عنصرية أخرى أن نخلق طبقة متميزة هذا إذا افترضنا أنه لا يوجد في فردوسك لأصحاب امتيازات من نوع آخر ، وسنقبل ذلك . إن هذا لايعني إلا التمهيد لخلق طبقة دنيا جديدة ، طبقة من غير القادرين على استخدام رؤوسهم ، أو أيديهم ، أو أرجلهم . . . إن أكثر ما أزدريه هو تقسيم العمال إلى مراتب مماثلة لمراتب الملاكمين .

لودفيج : وما الذي تقدره أكثر ؟

هانز : الراقصات . . . سيقان الراقصات . . .

في المكتب السوفييتي :

(يدخل بطرس ، الذي يتوجه إلى أمه ، ويعانقها بحنان .)

بطرس : أماه !

هيلدا : بطرس ! إنك أطول مما كنت أظن . . . كيف حالك يا بني ؟ .

بطرس : على خير مايرام .

هيلدا : كم كنت أود رؤيتك ، معانقتك ! لم تبعث سوى

قليــــلا من التفـــاصيل عـن حيـــاتك في الفترة الاخيرة . . .

بطرس : لم يحدث لي أي شيء يستحق أن أرويه . . .

هيلدا : أأنت سعيد بعودتك إلى بولندا ؟

بطرس : وبكوني معك من جديـد . للأسف علي أن ألتحق فورا بهذا الذي يدعونه **الخدمة الوطنية** . . .

السهل الايمان بوجـود العقل فقط . وعليك في هذه الحالة أن تدع الأمور للعلم وحده، ولكن لا تدعي بأننا نكتب أدبا . . .

(يخرجان)

الجانب السوفييتي :

(الطفلــة لا تستطيع النـوم . وأمهـا تـــواصل، وستواصل التدخين .)

الطفلة : ماما، أريد الرجوع إلى البيت .

الأم : هذا غير ممكن يا بنيتي .

الطفلة : أريد أن أنام في سريري . . .

الأم : قريبا سيكون لديك سرير آخر .

الطفلة : أجمل ؟

الأم : لا أعرف . . . سيكون لك أب آخر .

الطفلة : صحيح ؟

الأم : ألا يهمك ؟

الطفلة : لا . فهذا لم يكن يحبني .

الأم : الأمر هو أبوك الحقيقي .

الطفلة : تعنين أن رودولفو لم يكن أبي الحقيقي ؟

الأم : لا . أبـــوك الحقيقي جـــاء أثنـــاء الحرب ثم مضى

سنذهب الآن اليه .

الطفلة : ولماذا لم يأت هو إلينا ؟

الأم : لا يسمحون له .

الطفلة : وهل هو غني ؟

الأم : لا .

الطفلة : يا للأسف ! أنا أريد أباً ثريا مثل أب مارغا .

الجانب الأميركي :

(رجع القس ، وهو الآن إلى جوار مريانو .)

مريانو : ماذا جرى ؟

القس : جميع البشر متساوون حيال الموت .

مريانو : ربما كانوا كذلك منذ إمكانية استخدام القنبلة الذرية . . . ، وحتى في مثل هذه الحالة سيكون هناك فرق بين من سيلقيها ومن سيتلقونها . هل يتساوى الجنرال والجندي حيال المت ؟ هل عامل المسبك متساو حيال الموت مع مديره ؟

القس : متساوون يا أخي ، متساوون .

مريانو : أيتساوى حيال الموت القادر على الذهاب إلى أطباء مشهورين ومن يضطر للوقوف في طابور مستشفيات التأمين الاجتماعي ، إذا ما وجدت ؟ هل يتساوى الهنود والصينيون والأمريكيون حيال الموت ؟ وحتى الذين ماتوا ، هل هم متساوون ؟ أيتساوى أصحاب القبور الجماعية مع أصحاب نصب المرمر المزينة بتماثيل الملائكة والشواهد ، والمسيرات الجنائزية التي يشارك فيها عشرون اسقفا ؟ إذا شئت فهم متساوون حيال الديدان ، مع

الاخذ بالاعتبار كذلك مسألة المحنطين . . .

القس : متساوون أمام الرب يا بني .

مريانو : أوافقك على هذا . ولكن ، ما الذي سيحدث لمن لا يؤمنون به ؟

الكاهن : سيرتدون فيما بعد عن خطئهم .

مريانو : وإذا لم يكن هنالك من إله ؟

الكاهن : سيسعد أكثر من يؤمن به وهذا أمر له ثقله . وليس هناك مبرر للتقليل من شأنه

مريانو : هل الإله موجود لأنه من الأفضل أن يكون موجوداً؟

القس : هذه أمور إلهية .

مريانو : أنت لا تؤمن بالله .

القس : دعك مني وعليك بالآخرين

(يبتعد ويلتقي بهيرمان ، الذي دخل لتوه .)

هيرمان : (للقس) أيمكنني الانتظار هنا ؟

القس : يمكنك الانتظار في أي مكان .

(يخرج ، بينما يجلس هيرمان ، وهو متوتر جداً ، قريباً من مريانو .)

مريانو : (الى هيرمان) أتنتظر أحداً ؟

(يضع هيرمان رأسه بين راحتيه ، ولا يرد عليه .)

في المكتب السوفييتي :

(تدخل هيلدا غالكوفسكا ، خمس وأربعون سنة ، رقيقة ، نشيطة . تتحدث إلى ليبنسكي .)

هيلدا : ألم يصل بعد ؟

ليبنسكي : لا يا رفيقة غالكوفسكا .

هيلدا : غريب .

ليبنسكي : لا . فهم يزدادون تشدداً يوماً بعد يوم . لقد وصل القطار منذ نحو ساعة . ان يتأخر في المجيء .

هيلدا : بدأت أقلق .

ليبنسكي : هذا طبيعي . كم عمر ابنك ؟

هيلدا : تسع عشرة .

ليبنسكي : ألم ترينه منذ زمن بعيد ؟

هيلدا : (تُخرج صورة فوتوغرافية) خمس دقائق .
(تمد الصورة إلى ليبنسكي)

ليبنسكي : شاب جميل .

هيلدا : لم أره منذ خمس سنوات . لكنه لم يتغير .

ليبنسكي : (ناهضاً) أعذريني أيتها الرفيقة . علي أن أسلم هذا التقرير . يمكنك الانتظار هنا . إذا رأيته فسأخبره والشعوب ستعرف كيف تفرضه .

بطرس : يا ليت !

هيلدا : ألا تصدق ؟

بطرس : لدي شكوكي . هناك (يشير الى الجانب الاميريكي) يخافون منا خوفاً فظيعاً .

هيلدا : لن تسمح الشعوب بالهجوم على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية .

بطرس : من يدري !

هيلدا : سترى كيف لن يسمحوا . وستعجبك هذه الحياة : تحت خيام المعسكرات .
دائماً كنت تقول إنك تحب أن تحيا في خيمة ، ألا تذكر ؟

بطرس : بلى .
هيلدا : ولم تعد كذلك ؟
بطرس : لقد عشت منذ ذلك الحين في الخيام .
هيلدا : لكن كل شيء مختلف الآن .
بطرس : إنما هي خيام .
هيلدا : لا تظن أن ذلك مثل الجيش . إنه أشبه بالكشافة ، " البوي سكوت " .
بطرس : أو لم تكن هذه منظمة فاشية ؟
هيلدا : افهمني : لقد تبدل المضمون والأساس . إذا ما قصرت في شيء ، فلن يحاكمك . رؤساؤسك ، وإنما رفاقك . ومع هؤلاء بأمكان المرء التفاهم دوما . أم لا ؟ ولكن ، لم الحديث عن العقاب ؟ من الؤلم أن يرى المرء نفسه محروما من مكافأة ، والمكافا أت كثيرة : شعارات ، ميداليات ، أو سمة ، لمحات تذكارية . . . أليس نيلها مفرحا ؟
بطرس : مثلما يفعلون في مدارس الجيزويت .
هيلدا : هأنذا ألمح روح أبيك في هذا !
بطرس : ربما . لو تعلمين كم هي الحياة الجماعية سهلة ! الجميع يفعلون نفس الشيء ويحتضن الجميع ضعف أي واحد منهم بترحاب . يلعهون كما يحلو لهم . ماذا يريدون أكثر من ذلك ؟ يجهلون تماما ما تعنيه مواجهة المرء لذاته . ليس لديهم أى شعور بالمسؤولية ، ما دام هناك مسؤول من لحم وعظم يوافق ويؤكد على الموافقة بدلا منهم . لم يحدث من قبل أن عقد مثل هذا الغدد من الاجتماعات ، أو

حفلات الرقص ، أو الرحلات . لقد خط الشبان الكاثوليك الدرب في هذا المجال . الجماعية تخنق أي بروز فردى ، تسوى كل شيء عند أدنى حد مشترك . وإذا ما فكر أحدهم في شيء مختلف وسعى إليه ، أتهم في الحال بأنه مارق

هيلدا : ألديك علاج ؟

بطرس : لا . ولهذا جئت حاسما أمرى على أن أكون فردا في جماعة وألا أسمح لنفسي بالتميز . لأن ما يقدمه لنا الآخرون ليس جديرا بالأسف عليه أيضا . لم أكن محظوظا منذ مولدى . .

هيلدا : (منفعلة) ماذا أفعل بك ؟

بطرس : عليك أن تشي بي ، إذا كنت وفية لنفسك حتى النهاية . لكنك لن تفعلي ذلك ، لانك أمي . اليس كذلك ؟ ألآكد لك انني سأجعل من نفسي عاملا جيدا ، وسأحفر بحماس . .

هيلدا : أبوك هو المذنب .

بطرس : (يعانقها) نصف الذنب يا أماه . . . نصف الذنب فقط

هيلدا : ما الذي تريده إذن ؟ ماذا تنتظر ؟ يمكنك أن تناقش ، أن تتكلم ! وستتعلم بدورك التعرف على شبان من أوساط اجتماعية أخرى . لا تمتعض . إنك محب للتسكع ، والقراءة . عليك أن تصبر حتى يوم الأحد لتفعل ما تريد الأحد لك وإن كنت أشعر بأنك ستفضل قضاءه مع رفاقك .

بطرس : (متعبا) لا أدرى . أماه ، أتعلمين ما أريد ؟

هيلدا : لا .

بطرس : أن أبقى وحيدا . لم أكن وحيدا أبدا . فمنذ سن الثامنة كان علي أن ألتحق بالشبيبة الهتلرية : الجميع معا . الجميع يغنون . يعملون . ينفذون التعليمات . . هكـــذا إلى أن جـــاءت الحرب . والآن ، الآن مـرة أخـرى . ألا وجـــود لشيء آخـر سوى الثكنة . . الثكنة ؟ أرغب في أن أعيش قليلا . . كيف أوضح لك ؟

هيلدا : لا أحـد يعيش الآن مثلما يشـــاء . سيأتي ذلك فيما بعد .

بطرس : ولكنك لن تعيشينه .

هيلدا : وربما لن تعيشـــه أنـت أيضـــا . لكن أبنـــاءك سيعيشون . وهذا أمر يستحق العناء .

بطرس : لا أبناء لدي .

هيلدا : سيكون لك أبناء .

بطرس : إذ لم يدفعون بي إلى الموت في ميدان المعركة .

هيلدا : إذا كان عليك أن تفعل ذلـك فستفعله ، من أجل عالم أكثر عـدالة . عالم لا يعرف فيـه الجوع . فكر بهذا : بقطعه هائلة من الأرض حيث يعمل ملايين البشر دون كلل كي لا تعاني الجوع مـلايين وملايين الكـائنـات البشريـــة الأخـرى . سيتحقق ذلك ! وسيكـون الثمن جهودا عظيمـة ، والامـا هائلـة ، وجرح أحـاسيس كثيرة وانكـار نزوات عـديدة . . ولكن قل لي ، ألا يستحق هـذا الامـر التضحيـة ؟ تصور ما سيحدث بعد عشرين سنة ، ثلاثين سنة

، فكر كيف أن آلاف الفلاحين الفقراء الجائعين ، ممن انهكتهم قرون من الاضطهاد الاقطاعي وشبه الاقطاعي ، سيشبعون جوعهم ، وسيتعلمون القراءة .

بطرس : وماذا سيقرأون ؟

هيلدا : لايهم ماذا . المهم هو أن ينهي الجوع ، وإذا كان الوصول إلى ذلك يتطلب منك أن تضحي بعزلتك ، ألن تفعل ؟ أنت وآلاف مثلك . هذا ما لم يشأ أن يفهمه أبوك أبدا . . . ، لأنه يؤمن بعالم آخر يعوض فيه البائسين ما يعانونه من الام هذا العالم . . . يا للسهولة ! يا لطمأنينة القادة ! لو أن جميع هؤلاء المسيحيين ذوى الامكانيات كانوا كذلك حقا ، فلماذا لا يتنازلون عن ثرواتهم؟

بطرس : (مقاطعا إياها) لست مسيحيا .

هيلدا : أعرف هذا .

بطرس : إذن لماذا نواصل الكلام ؟

هيلدا : (مبتسمة) لأن الناس يتفاهمون بالكلام .

بطرس : أو لا يتفاهمون .

هيلدا : ليس ثمة خسارة في المحاولة . كيف يمكنك أن ترفض بناء عالم جديد ، انسان جديد ؟

بطرس : إنسان جديد ؟ لقد درست قليلا . . .

هيلدا : وماذا ؟ ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم ، بل على العكس تماما الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم . والفلاسفة لم يفعلوا شيئا سوى تفسير العالم ، والقضية الان هي في تغييره .

بطرس : قول ماركس . ولا أقول لك إنه غير محق .

هيلدا : إذن ؟ لا شك أن الوعي يمارس بدوره تأثيرا كبيرا على الاقتصاد و . . .

بطرس : أماه : لن نناقش هذا الآن . أنا بولندى ، وقد جئت لخدمة بلدي . وما سوى ذلك سنراه فيما بعد .

هيلدا : لكنني أريدك أن تفهم ! . . .

بطرس : أعرف . ، أؤكد لك الآن على الأقل أنني أفهمك .

هيلدا : (مبتسمة) شيء خير من لا شيء .

بطرس : كنت متشوقا لمعانقتك .

هيلدا : كنت أردت اقناعك بصواب معتقدنا .

بطرس : مازالت الحياة كلها أمامنا .

هيلدا : الحياة أمامنا دوما . هلم بنا .

(يخرجان)

الجانب السوفييتي :

(ميشا والكسندر يتبادلان الحديث ، وكلاهما رث الثياب)

ميشا : لا . انتبه ، أنا لست عجوزا لهذه الدرجة ، لكنني عشت حروبا كثيرة : جميع الحروب التي قدر لي أن أعيشها . وقد تنقلت بين مستشفيات عديدة والمستشفيات أمكنة كريهة . هل فكرت يوما في عدد المرضى في العالم ؟ في عدد الذين يشعرون في هذه اللحظه بألم في رأسهم أو معدتهم أو بطنهم ؟ في الذين يموتون في هذه اللحظة بالذات ؟ هؤلاء لا عــــلاج لهم ، ولكن هنـــاك ذووهــم ، ومن

يحبونهم ، من كانوا يظنون أنهم لن يستطيعوا العيش دونهم . ملايين . أعرف : سيولد آخرون . ولكن البشر ، عموما ، يعون موتهم ، ولا يعون مولدهم الدنيا . إنه أمر عبثي ، لكنه هكذا . لو كان الامر معكوسا لكان أكثر طبيعية . ولكن لا بد من رؤية الأمور كما هي عليه ملايين من المرضى وملايين من الموتى أليس كذلك ؟ هذا منطقي . ومنطقي أن نفترض أن الانسانية تقضي حياتها متألمة منطقيا . إنها لا الناس راضون . يحبون العيش ، أو لم تتساءل أبدا عن السبب ؟ اسأل نفسك . وبعد ذلك انظر فيما حولك طبعا ، الوقت ليل الآن والرؤية ضعيفة ، ولكن حتى لو لم يكن هنالك قمر ، فهناك نجوم . في النهار يمكنك رؤية الاحجار . وإذا ما اعتدتها ، فستبدو جميلة حتى الاحجار . ربما ليست كذلك ، لكن رؤيتها . . . مجرد رؤيتها . . .

الكسندر : ولكن ، ألا تريد أن تدرك ما يعانيه كل هؤلاء ؟ ما نعانيه جميعنا ؟

ميشا : لقد قلت لك للتو إنني لست أعمى .

الكسندر : إذن ؟

ميشا : لو أن كل شيء كان سيئا إلى هذا الحد ، فإن الانسان يملك بين يديه الشيء الوحيد الذي يمنح له عند ولادته : حياته ولو انتزعها لنال الراحة . ولكن لا . هاهم هناك ، ها نحن هنا . لماذا لا تقتل نفسك ؟

انظـر : تمر من هنـاك قطـارات كثيرة . لا تقل إن الشجـاعـة تنقصك ، وإنك تخشى أن يسبب لك ألما فقاطرة وعشرون عـربة مقطورة ستكون كـافية . ولن يكون لديك من الوقت ما يكفي لتقول : آه . ولا أظن أن مشاعرك الدينية تمنعك من الإقدام على ذلك . أجب .

الكسندر : ربما كنت على حق . ولكن الظلم . . .

ميشا : الظلم مبرر للعيش . ربما كان المبرر الوحيد . نبع الرجاء . في عـالم عادل يتكاثر المنتحـرون . الفقراء لا يقتلـون أنفسهم . أمـا الأثريـاء فيفعلـون ذلك أحيـانـا ، وكـذلك العـاشقـون ، الـذين هم الرأسماليون الحقيقيون . والسجناء لا ينتحرون أيضا فنحن هنا ، ومن كانـوا يجدفون في السفن القديمة كانوا في حالة أسـوأ ، ولم ينتحروا . فالحياة أقوى . وخصـوصـا إذا مـا نظـرت إليها مـن موقع يتجـاوز شخصك .

الكسندر : أنا ؟

ميشا : أي أحد آخر .

الكسندر : يبدو لي انك لم تعان أبدا من مغص كلوى .

ميشا : ولم ألد كذلك .

الكسندر : يكررون .

ميشا : ولماذا تتحمل ؟
الكسندر : لست أدرى .
ميشا : تمعن بالأمر إذن ، تمعنه منطقيا .
الكسندر : وما علاقة المنطق بزماننا ؟
ميشا : ليس للمنطق يا صديقي أية علاقة بالزمن . وهذه هي حسنته فبه يمكن قياس كل شيء . انظر : هناك الاميركيون . وهنا الروس . أو كما يقول آخرون : هناك الرأسماليون ، وهنا الشيوعيون . طيب ، لا بأس . كلاهما موجود . والاحتمال الأكبر . . .
الكسندر : الأكثر منطقية . . .
ميشا : الأكبر بالنسبة لك . الأكثر منطقية ، هو أنهم قد يشتبكون في أية لحظة بالرصاص ، أو بالضرب ، أو بأي شيء .
الكسندر : ونموت نحن كنتيجة منطقية لذلك .
ميشا : ونموت نحن فعلا كنتيجة منطقية لذلك . ثم ماذا ؟ هل ستنتهى الحياة ؟
الكسندر : حياتنا .
ميشا : وماذا في ذلك ؟ ألن يوجد شيء آخر بعد الرأسمالية أو بعد الشيوعية الظافرة ؟ لقد شهد العالم ما هو أعقد مما نحن فيه . . .
الكسندر : أشك في ذلك .
ميشا : لا تشك . تذكر الطوفان .
الكسندر : لم أكن قد ولدت بعد .

ميشا : أنت لا . لكن اجدادك نعم . هؤلاء يفعلون ما يحلوا لهم .

الكسندر : هذا منطقي .

ميشا : ليس منطقيا ، لا . المنطق هو ألا يقتل بعضهم بعضا .

الكسندر : ما نفع المنطق إذن ، إذا كان الناس لا يتصرفون بشكل منطقي ؟

ميشا : لتحديد ما هو غير منطقي ، وهذا مهم مثل تحديد ما هو منطقي .

الكسندر : دعك من الحماقات .

ميشا : هل الحياة حماقة أيها العجوز؟ لا. انظر: قد يخربون جزءا من الأرض، قد يدمرون، يقتلون، يهدمون، قد يفعلون ما يحلو لهم ولكنهم لن يقدروا على الحياة لأنها ليست منطقية ولا غير منطقية، لن يقدروا على الربيع، وسينمو العشب من جديد، حتى ولو في أماكن محدودة فقط . وربما كانت الخرائب التي سيخلفونها، إذا ما نظرنا إليها بعين راضية، أقل قبحا من هذه البيوت التي يبنونها الآن. . . لقد عشت خمسين سنة، نصف قرن. الناس يبكون قصر الحياة، دون أن ينظروا لها نظرة شمولية دون أن يروا منها إلا امتدادها الطولي، ودون أن ينتبهوا الى عرضها . . . تماما مثلما يدرس الناس مجرى الأنهار ويقولون: الفولغا كذا كيلومترا، أو المسيسيبي كذا ميلا. دون أن يفكروا

بعرضه الفسيح . ولكن ، حتى بهذا المعيار الطولي ، بالقيـاس من طرف الى طرف ، فإن حيـاة طبيعية ، مثل حياتك ، أو حياتي . . . فكـر أنه منذ أقل من تسع وثـلاثين حيـاة ولـد يسـوع . ومـا هي تسع وثلاثـون حياة؟ نحن هنـا أكثر . . . قدر أيـة حياة تشـاء على اتسـاع العـالم . خذ حيـاة مـا بطـريقـة عشوائية . ما الـذي رآه إنسان ، ولنقل فرضا . . . ، خلال عشر سنوات؟ فلنقل منذ سنة ١٤٥٠ حتى سنة ١٤٦٠ : الاستيـلاء على القسطنطينية ، بـداية حرب الورود ، غزو بولنـدا على يد التيوتونيين ، غزو الاتـراك لاثينـا والصرب ، اكتشـاف جـزر الـرأس الاخضر والسنغـال على يـد البرتغـاليين ، تـدمير امبراطـورية تـريبيزونـدا ، طـرد الانكليز نهائيـا من فرنسـا .

الكسندر : وكيف عرفوا أنه كان طردا نهائيا ؟

ميشا : معك حق : إنها مصطلحـات سيئـة درج عليهـا الأسـاتذة . ولكن هـذا هـو أحسن شيء ، إنهم لا يعرفون .

الكسندر : ثم ماذا ؟

ميشا : لقد قطعت سلسلة أفكارى : انتزاع جبل طارق من العـرب . وألف شيء آخـر . أليـس هـائلا؟ هل بـامكان انسـان أن يحيط بأكثر من ذلك؟ ونصف قرننا هذا الـذي نعيش؟ السينما ، الطيران ، الراديو ، الثـورة الـروسيـة ، التلفاز ، الحربـان العـالميتـان

الحبشة، الحرب الاسبانية، القنبلة الذرية، الخ . . . ما يحدث هو أن الإنسان يقيس بالطول وليس بالعرض. يلزمه الصفاء ليجلس ويتأمل في شؤون الآخرين.

الكسندر : ما أنت؟

ميشا : لقد قلت لك: صديق للآخرين، لص أو قل: محتال، لاعب حظ. كنت فيما تلميذا لعالم لا هوت، وأستاذا في مدرسة للآنسات، طردوني منها لأني عاشرت ما استطعت منهن، وكن أقلية وكنت قائدا لأوركسترا، وعامل منجم، وممثلا، وبائع صور فاحشة في باريس وفينيسيا، ودليل سياح، وجنديا. كل هذا كذب، ولكنه كان له أن يكون حقيقة. زوجتي وأولادي الثلاثة يسعون للحصول على الخبز وعلى جوازات سفر نريد الذهاب إلى الأرجنتين لنربي القواقع وسط الأعشاب الكثيرة التي يقولون إنها تنمو هناك . . .

الكسندر : (ينهض بحثا عن مكان آخر يستريح فيه) أنا أحب الاشخاص الجادين (يجلس إلى جوار غرومبوف . فيما الحراس يمرون، الحارس للأميركي الآن زنجي.)

الجانب الأميركي :

(يعود غاسبار، وهو يتحدث إلى القس في المستوى الثالث.) من خشبة المسرح

غاسبار : جاء الالمان وقتلوا. وصل البولنديون وقتلوا.

جاءت الطائرات الاميركية ودمرت . ثم الطائرات الألمانية ، فلم تبق رأس على جسدها

القس : هل أنت يهودي ؟

غاسبار : لا سمح الله ! لم يبق يهودي واحد : لقد قضوا عليهم . انهم نسل الخبث في العالم .

(يبصق . يجلس القس ليقرأ في كتاب صلواته . ينتبه غاسبار إلى غياب لويسا ، فيبحث عنها باهتمام .)

الذي يتكلم وحده : (متسلقا فوق الصناديق) يذهبون ويجيئون ويدورون . يظنون أن لذلك أهمية صغيرة أو كبيرة . وربما لا علم لهم بوجودي ، بل إنهم لا ينتبهون إلى أنني هنا ، وأن لي أهميتي أيضا . كأنني غير موجود ، والحقيقة هي أنهم هم الذين لا وجود لهم ، في نظري أنا الموجود الوحيد . يمكنهم أن يركضوا ، أن يصرخوا ، أن يقولوا ما يشاؤون : لكنهم مدانون ، جميعهم مدانون باللا وجود ، بالحركة دون صوت ولا صدى ، مثل جماعات النمل التي تقضي حياتها في العمل والحروب ، دون أن يعبأ بها ، أو ينظر إليها أحد ، ويأتي طفل صغير فيدوسها ، أو يبول في حجرها ، في داخله تماما ، مثلما كان يفعل جوليان . لقد كان أمهر الجميع في التصويب ، فكسب مني الدوامة والحبل ، الحبل نفسه الذي شنقته به . إذا ما بدأ كل واحد من هؤلاء بالحديث الان عن

البستان الـذي لعب فيه وهـو طفل ، وعن جدائل الجارة التي لمحها من خلال ستائر نافذة حجرتها ، وعن بلـوزة خادمـة آل ارفيلير ، تلك التي قـدمت من بـوميرانيا ، وكـان لها ابن عم جنـدي له حـذاء ضخم من تلك التي لها رائحـة كـريهة ، فستكـون حكايـة لا تنتهي ، الحكاية الوحيـدة الموجودة من الخير لي . . .

(يستلقي ، موليا ظهره للجمهور)

هبرمان : (لمريانو) أأنا متشائم؟ لماذا ؟ ألأنني ضد؟ ألأنني لا أناصر أى واحدة من هـاتين القوتين اللتين ترون انهما فريدتان ؟ الأمر هكذا إذن : سأكون متفائلا في نظـر الشيـوعيين لـو أنني شيـوعي . وفي نظـر الأميركيين لو كنت معـاديا للشيوعيـة . هكذا إذن لأنني اذا انضممت إلى أى منها أصير واحدا آخر. لماذا يجب على العـالم أن ينغلق على هـذه المعضلـة الرهيبـة ذات الحدين ، دون نور يهديـه إلى الوسط ؟ لكن النور موجود ، موجود في الأعلى وفي الأسفل .

مريانو : القوة الثالثة . . . أتسمح لي أن أضحك ؟

هبرمان : لا ! هذا شعار ابتدعتموه للمهاترة .

مريانو : هـذا مـوقف لا يفيـد شيئا ولا يفيـد أحـدا : إنـه انتحار.

هبرمان : من السهل قول ذلك ! تسخرون منا لأننا لا نملك سوى الحجة .

مريانو : وحتى هـــذه لا تملكـونها . فلـو كنتـم واثقين مما

تـريـدونـه لما تعـذبتم كل هـذا العـذاب . ليست لديكم الشجاعة . . .

هبرمان : الشجاعة لم يعد لها في نظركم سوى مدلول واحد . تشتمـون بوقـاحة ، تـدوسون بعجـرفة أي محاولـة للتعايش ، واثقين من تفوقكم المنيع ، هنا بالقنبلة الذرية ، وهنـاك بالدبابات والمدافع ، متجاهلين الانسـان الـذي ليس لـه اعتبـار . فـالشيـوعيـون يضحـون بـه دون رحمة من أجل اقـامة عـالم أكثـر عـدالة : مثقفـون يكرسـون أنفسهم بشكل أعمى لخدمة فكرة ، ليس له اعتبـار ، والاميركيون الذين يحولونـه الى حفنة من الدولارات ، تـزيد أو تنقص حسب لون بشرتـه : الابيض بكذا والبرونـزي بكذا والـزنجي بكـذا ، مثل البضـاعـة ، بل ربما أكثـر امتهانا . ولانني مؤمن بـالانسان ، الإنسان الذي من لحم وعظم بالحرية ، فأنـا متفائل سيحدث ما يجب أن يحدث ، لكن العالم لن يجد الخلاص لانه شيوعي أو رأسمالي ، وإنما لأنه انساني .

مريانو : كل هـذا ليس إلا كـلام . فـالعوامل الاقتصـاديـة تتحكم . . .

هبرمان : لا أنكـر ذلك ، لكنني أتمرد عليهـا وأنا أفعل هـذا باسم كل التاريخ . . .

مريانو : الذي أبدع الالآت ، وهذه بدورها . . .

هبرمان : لم تقل الكلمة الأخيرة بعد .

مريانو : ولن تقال أبدا .

هيرمان : موافق . ولكن إذا انتصر أي فريق من هؤلاء ، فلن يكون هناك ما يقال ،

مريانو : أهذا هو إيمانك بالانسان ؟ إنك لا تفعل شيئا سوى تكرار ما يقوله جميع المعادين للشيوعية .

هيرمان : هل ستنكر علي ما عشته ؟

مريانو : ولكن ليس ثمة طريق آخر للخروج قدما .

هيرمان : لأنك وآلاف مثلك يقولون ذلك . لا أقبل هذه الجبرية . فالحياة أقوى من كل النظريات ، وهي تقدم الحلول كل يوم . يبدو أن الانسان لم يولد في نظركم إلا بالامس .

مريانو : المهم هي مشاكل اليوم . ولا بد من مواجهتها هنا ، الان والتخلي عن الترهات التاريخية .

هيرمان : ولكن ، لماذا على التحول إلى الاشتراكية أن يُدخل ترهات أخرى روحية؟ ماهي الحاجة ، كي لاأقول الهراء*، إلى الحط من كل شيء ليصبح المستوى واحداً، وإلى إقامة محاكم التفتيش ، وفرض نظريات علمية مناسبة سياسياً، وإغماض العينين عن نصف العالم؟

مريانو : مادام الآخر يسكب القذارة على الباقين دون حساب .

هيرمان : موافق . ثم ماذا؟ وهل علي أن أختار واحداً من هذين المفهومين اللذين لاأقبل بهما؟ هل أنا استثناء؟

مريانو : لا.

*) جناس بين كلمتي necisndad (حاجة) و necedac (هراء) . (المترجم)

هبرمان : إذن؟ ألم يعد للتسامح والعقل مكان؟ هل على البشر أن ينقسموا لأسباب سياسية إلى أعداء ينكرون الخبز والملح على بعضهم بعضا؟ أية بربرية هذه؟ إنني واثق، وثوقاً وهاً، من أن الاحترام الذي نستحقه سيفرض نفسه ذات يوم، وسينال كل واحد حسب موقعه ومقامه، وسيشيع الاعتراف بفضائل الناس، دون تحقيرهم لأنهم يؤمنون بمعتقد المسيح أو محمد أو بوذا أو لايؤمنون بشيء. وسنصل إلى احترام رأي الآخرين كما لو كان رأينا الخاص.

مريانو : هذا ما قاله جميع الليبراليين في القرن الماضي، ممهدين الطريق لما نحن فيه.

هبرمان : ولا بد من العودة إليه عندما تنحسر هذه الموجة من الوحل التي غرقنا فيها لقد مات الشرف، والجوهر الباطن، على يد التفاخر، وعلى يد الظاهر. كل شيء صار ألقاباً وأوسمة. أين هم الرجال الشرفاء؟ ماتوا على يد الدعاية. لم يعد المرء يبحث إلا عن التوقير، عن التكريم وحسب. ولكن، أين هي الكرامة؟ لقد ماتت على يد حروفها الأخيرة*.

مريانو : في هذا الجانب.

هبرمان : وفي الجانب الآخر على يد النميمة، وفي كل

---

*) هناك تورية في قوله هذا، فهو يستخدم كلمة decoro (الكرامة)، ثم يقول «إنها ماتت على يد حروفها الأخيرة» مشيراً بذلك إلى الحروف الثلاثة الأخيرة من الكلمة، أي (oro) التي تعني الذهب، فيكون ما قصده هو ان الكرامة قد ماتت على يد الذهب. (المترجم)

الجهات على يد الخوف. لكن هذا كله سينتهي، وسنشهد التقدير اللازم لما في داخلنا جميعا. فالمساواة دون احترام ليست مساواة وليست شيئا. أي عالم هذا الذي يتحول المرء فيه الى قمامة إذا كان لا يتفق مع النظام السائد؟ وَحْل إهانة ولؤم...

مريانو : إنك لاتعيش في هذا العالم.

هيرمان : بل أعيش فيه، وهذا يؤلمني. أيكفي كون زوجتي شيوعية، أو كونها شيوعية سابقة كي يبعدوها عني؟

مريانو : نعم.

هيرمان : لاداعي لمزيد من الكلام إذن.

مريانو : أنت تريد الكلام للكلام.

هيرمان : من لهم صوت ويصمتون ليسوا رجالا

مريانو : ومن يدري إذا ما كان العكس هو الصحيح اليوم.

هيرمان : أنت شيوعي.

مريانو : لا. ولست حتى ممن يمضون في ركب جماعتهم. ولكنني أرى أنه يمكن لبعض الشيوعيين الأذكياء أن يكونوا زملاء لي. من الصعب إنسانياً أن يكون أحدنا ضد الشيوعية. لا بد بكل بساطة من الحذر في معارضتها ــ بدافع الحقد على هذا النظام ـ بأفكار انكشفت على الدوام تقريباً بانها ليست إلا حواجز نفاق تخفي مصالح حقيقية.

هيرمان : ولكنهم لا يسمحون لماريا بالخروج.
(يمر الحارسان)

غاسبار : (ينهض على ركبتيه) زنجي ! ياللعار!

آنا : إنه رجل مثلك.

غاسبار : هل يعجبك؟ أتريدين أن أستدعيه؟

(تبصق آنا وتدير له ظهرها.)

في المكتب الاميركي:

(يدخل تالكوت مع ضابطين طيارين جمهورية شرقية غير محددة. الضابطان يرتديان سترتين جلديتين. يدخل هاركنز فيما بعد. ويخرج فيلد.)

الطيار الأول : أخيراً وصلنا.

تالكوت : متى خرجتما؟

الطيار الأول : منذ خمس ساعات.

تالكوت : هل واجهتما مصاعب؟

الطيار الأول : ليس كثيراً.

تالكوت : ولماذا هربتما؟

الطيار الأول : إنهم يطردوننا من مواقعنا، ينقلوننا نحن جميع من خدمنا خلال الحرب مع الحلفاء. لقد بدأوا بتصفيتنا جميعاً، عسكريين ومدنيين. الشيء الوحيد الذى تبقى لنا هو الفرار أو العمل في مناجم الفحم. كنا سننتهي إن عاجلا أم آجلا إلى أحد معسكرات التجميع.

تالكوت : وما العمل الذى ترغبون في أدائه؟

الطيار الأول : لا أدرى. مواصلة الطيران، إذا كان ذلك ممكناً.

تالكوت : ممكن بالتأكيد. ماذا كان سيحدث لو اكتشفوا أمركما وأنتما تحاولان الفرار

الطيار الأول : خمس عشرة أوثماني عشرة سنة سجن .

تالكوت : أليست لديكما أسرة؟

الطيار الأول : أنا لا . لم تعد لي أسرة ماتوا في القصف .

تالكوت : قصف روسي؟

الطيار الأول : لا . قصفكم .

(صمت .)

تالكوت : وحضرتك؟

الطيارالثاني : زوجتي كانت ستصل يوم أمس ألم تمر من عندكم؟

تالكوت : بأى اسم؟

الطيارالثاني : إيلينا هومبورى .

تالكوت : لا أدرى . سأستفسر الان .

الطيارالثاني : إنها طويلة ، شقراء .

تالكوت : أوثائقها قانونية؟

الطيارالثاني : نعم .

تالكوت : ومنحوها إياها دون صعوبات؟

الطيارالثاني : صديقة لها هي التي قامت بالاجراءات ، وكأنها هي التي ستسافر . . .

تالكوت : وبقيت؟

الطيارالثاني : إنها اميركية .

تالكوت : هذا ليس ضمانا كاف

الطيارالثاني : زوجتي سرقت الوثائق .

تالكوت : وما اسم زوجتك؟

الطيارالثاني : جوليت فراى . هل لديك معلومات عنها؟

تالكوت : لا . تفضلا بالدخول بعد ذلك ستذهبان للراحة في الثكنة . . .

الطيار الأول : في الثكنة؟

تالكوت : لاتوجد أماكن في الفنادق . . . (يرافق الطيارين حتى الباب .) غدا نلتقي .

(الطياران يخرجان . يلتفت تالكوت نحو هاركنز، الذى لم يشارك في المشهد .) لو أن الشيوعية فرضت في بلادنا ، أكنت تهرب إلى كندا؟ (يهز هاركينز كتفيه . ويعود تاكوت إلى طاولته . يجلس ويراجع أوراقا .)

هاركنز : وأنت الذي تقول هذا؟

تالكوت : أنا أوغيري ، مالفرق؟

(يدخل فيلد)

فيلد : لقد جاءوا بتوم وغولدبيرغ مخمورين مثل دنين . طردا جميع من كانوا في المقهى بالرصاص ، ليبقيا مع النساء وحدهما .

تالكوت : ستبقى شعبيتنا في تصاعد مثل تصاعد الزبد .

(يلقى ثقالة أوراق فوق الطاولة بحنق ويخرج .)

الجانب الاميركي :

(يدخل غابار وموستروفيتش وهما يتمشيان .)

موستروفيتش : الكتبة والفريسيون كانوا يمثلون الثقافة والانتلجنسيا في مواجهة تلاميذ المسيح الجهلة . وقد انتصر هؤلاء الأخيرون بالرغم من جميع دكاترة القانون . ليس لأنهم جهلة ، كما كنتم ستصرخون لو كنتم موجودين يومئذ ، لأن حزبك سيكون عندها هو حزب الدكاترة . لكنهم انتصروا لأن

الجمهور كان يشعر ويحدس أين هي الحقيقة، وأين هي مصلحته . . .

غابار : تقول المصلحة وأنت تتحدث عن المسيحية . إنك تقفز قروناً .

موستروفيتش : مثلما هي اليوم هذه الجموع البربرية، هذه الجماهير الجاهلة — وأنا استخدم تعابيرك ياغابار — تشعر، تشم، تدرك أن الحقيقة . . .

غابار : ومصلحتها .

موستروفيتش : ومصلحتها هي في اتباع نظريات ماركس ولينين وستالين . لا يمكنك أن تنكر أن المسيحية كانت خطوة إلى الأمام في تاريخ الفكر الانساني . ومع ذلك فان رد موت الحضارة . أية حضارة؟ أهذه التي تسمونها الحضاره الغربية؟

غابار : الشعار شعاركم

موستروفيتش : ألم تقدم الحضارة الغربية ذاتها كال ما كان عليها أن تقدمه؟ والان يأتيها دم جديد .

غابار : أي دم؟ أهو ذاك الذي يخنق حرية العلم؟ إنني معكم ـ أو إنني قدأكون معكم ـ لو توفرت الحرية .

موستروفيتش : لو توفرت الحرية التي تريدها أنت — الحرية الشخصية للكاتب غابار ـ لما توفرت هذه القوة التي ستغير العالم . وأنا متفق معك على أن ما سيكلفه ذلك لن يكون قليلا من الالآم والفظائع . . . ولكن ليس هناك طريقا أخر .

غابار : بل توجد .

موستروفيتش : لن نصل إلى اتفاق .

غابار : موافق .

(يخرجان)

في المكتب السوفيتي :

(يُدخلون نيكولاس . ينظر إليه بوربينوف باهتمام .)

بوربينوف : وأنت؟

نيكولاس : أريد الذهاب إلى بريسلاو .

بوربينوف : لماذا؟

نيكولاس : لأعيش .

بوربينوف : ما الذى تحسن عمله؟

نيكولاس : ما تأمرونني به .

بوربينوف : ماذا كنت تشتغل حتى الآن؟

نيكولاس : في جمع أعقاب السجائر .

بوربينوف : أكان يكفيك هذا لتعيش؟

نيكولاس : نعم (صمت) أنا لا أدخن .

بوربينوف : (بعد أن يتأمله) ما اسمك؟

نيكولاس : نيكولاس كاوفهان (Kaufmann)

بوربينوف : ينتهي ب (٢٦) واحدة أم باثنتين .

نيكولاس : باثنتين .

بوربينوف : أين ولدت؟

نيكولاس : في بريسلاو .

بوربينوف : اجلس وانتظر .

(يجلس نيكولاس . بوربينوف ينهض ويقدم له سيجارة قبل أن يخرج يبتسم نيكولاس ويأخذها .)

نيكولاس : شكرا.

(يخرج بوربينوف . يتأمل نيكولاس السيجارة، ثم يشعلها .)

الجانب الأميركي :

تظهر لويسا من المستوى الثالث من الجهة اليمنى . تمر فوق النائمين بحذر، وتتقدم نحو الوسط باحثة عن مكانها. وعندما تصله، ينهض غاسبار بعنف .)

غاسبار : من أين أنت آتية؟

لويسا : من أين تريدني أن أجيء في مثل هذه الساعة؟

غاسبار : لاتكذبي علي!

لويسا : اخفض صوتك. فليس جميع من هنا يسمحون بترف امتلاك مزاج مثل مزاجك .

غاسبار : ولا ترف أن تكون لهم زوجة مثلك .

لويسا : شكراً .

غاسبار : لايوجد ما يستحق الشكر.

لويسا : (تجلس) هل ستدعني أنام؟

غاسبار : ذهبت للحديث مع ذلك التافه . . .

لويسا : أترى أنها اللحظة المناسبة لعرض مشهد من مشاهد الغيرة؟

غاسبار : ما كنت سأشعر بالغيرة لو أنك كنت كما يجب أن تكوني . ولكنك تشعرين بالحاجة لأن تكوني محاطة بالرجال . . .

لويسا : وهل ترى أن الذين من حولنا قليلين؟

غاسبار : لاتدافعي عن نفسك بحماقات . أنت تعلمين . . .

لويسا : أكاد لاأصدق أن البؤس لم يعلمك بعد . .

غاسبار : أليس لنا نحن البائسين الحق في الإحساس كالآخرين؟ هل يحتاج المرء إلى إيرادات كي يحب؟ أم انك تحتاجين إلى مخادع مفروشة بالسجاد وخدم يكتمون الأسرار كي تخونينني؟

لويسا : ربما . . .

غاسبار : أتعترفين؟

لويسا : أعترف أعترف بكل ما تشاء، على أن تدعني أنام . . .

جوزيف : يعيطها ظهره مبروك!

في المكتب السوفييتي :

(يدخل ليبنسكي وفي يده بعض البطاقات، يتبعه كوفاك. يتجه نحو نيكولاس الذي خبأ عقب سيجارته في علبة .)

ليبنسكي : سيأخذون الآن بصمات أصابعك .

نيكولاس : لماذا؟

ليبنسكي : كيف لماذا؟

نيكولاس : إنها أصابع عادية تماماً .

(يأخذ كوفاك بصمات أصابع نيكولاس بينما ليبنسكي ينظر إليه بفضول .)

ليبنسكي : أين كنت خلال الشهور الاخيرة؟

نيكولاس : تجولت مغامرا .

ليبنسكي : وتركوك؟

نيكولاس : لم أكن أؤذى أحداً .

(يقدم كوفاك قطعة الورق المقوى التي تحمل

البصمات إلى ليبنسكي ويخرج . يقارن ليبنسكي بين البطاقتين .)

ليبنسكي : كيف قلت إن كنيتك تكتب (ب (٢٦) واحدة أم اثنتين؟

نيكولاس : باثنتين .

ليبنسكي : كاوفهان؟

نيكولاس : نعم ، ألا يعجبك؟

ليبنسكي : لا . وجهك لايقول إنك تدعى كاوفهان . أنت نيكولاس نعم ، ولكن نيكولاس بلاونسكي .

نيكولاس : مبروك .

ليبنسكي : (بلهجة مختلفة) لا تظن أن في الأمر معجزة ، أو أن مخابراتنا هي شيء خارق . ببساط ، كنا ننتظرك . علمنا أنك اختفيت من هامبورغ ، وعلى سبيل الحيطة . . .

نيكولاس : فعلاً ، أين كان لى أن اذهب؟

ليبنسكي : وهل أساء حلفاؤنا الغربيون معاملتك إلى هذا الحد؟

نيكولاس : بشكل رائع .

ليبنسكي : (يمد له علبة سجائره) سيجارة؟

نيكولاس : (يأخذها) شكراً جزيلاً .

ليبنسكي : أهنئك . تنكرك كان فكرة جيدة . فبدونه ما كانوا سيسمحون لك بالمرور . كيف حصلت على الوثائق؟

نيكولاس : مثل كل شيء : بالمال .

ليبنسكي : لدينا مكان جاهز لمبيتك. سيقدمون لك الملابس، وكل ما تحتاج اليه.

نيكولاس : كنت أريد توضيح بعض الأمور أولا.

ليبنسكي : إنني رهن إشارتك يابروفسور بلاونسكي.

نيكولاس : أتعرفون لماذا... اختفيت؟

ليبنسكي : حتى الآن، لا.

نيكولاس : لافائدة من انتظار ذلك لوقت أطول. سأخبرك: أنت تعلم اني اختصاصي في الكيمياء الجزيئية.

ليبنسكي : ربما أنك أشهر متخصص فيها.

نيكولاس : لاتتملقني، فهذا غير صحيح. ولكن لدي من المعرفة ما لدي. أرادوا نقلي إلى الولايات المتحدة. قدموا لي كل مايمكن للمرء أن يشتهيه، كي أعمل على تحسين القنبلة الهيدروجينية. فلم أقبل.

ليبنسكي : أنت تعلم مدى سعادتي بسماع هذا منك!

نيكولاس : وهو يسعدني أيضا لا أؤمن بوجوب استخدام العلم في اختراع ادوات الموت. وأرفض المشاركة في تصنيع قنابل أوأي آلة للدمار. ولأني لاأستطيع نسيان ما أعرفه، فأنا أهرب من تطبيقه.

ليبنسكي : الاتحاد السوفييتي يقدم لك كل دعمه.

نيكولاس : أشك في ذلك ياكابتن. لأني لا أفكر في العمل لصالح روسيا كذلك. لقد تنكرت وهربت، وكنت أنوي العبور دون أن يعرفني أحد، كي أبدأ حياة جديدة لاعلاقة لها بنشاطاتي السابقة. وهو ما لم أستطع الوصول اليه... في الجانب الآخر.

ليبنسكي : لقد اتهمونا باختطافك.

نيكولاس : هذا كلام للعامة. أنا أجهل كل شيء هنك أيها الكابتن. بل إنني لا أعرف اسمك. (يقاطع حركة يقوم بها الكابتن.) ولا أريد أن أعرفه.

ولست أطلب منك إلا شيئاً واحداً. إذا كنت رجلا حقا وتريد أن تفهمني: انس أنك رأيتني! اختم جواز سفر نيكولاس كاوفمان واتركني أمضي إكسب قوتي في أي مصنع، كيفما كان.

ليبنسكي : آسف جداً يابروفسور...

نيكولاس : ألا تريد أن تفهم؟

ليبنسكي : ليس الأمر هو في إرادة الفهم. أن نفهمْ أو نفهم. فالامبريالية الاميركية كما تعلم...

نيكولاس : أرجوك ألا تعرض علي نظريتك «العادلة» حول الوضع السياسي الراهن أعرفه لاأقبله ولاأرفضه إنني خارج كل هذا. مثلما لا أقبل نظرية خصومكم ـ وأفعالي تثبت ما أقول ـ المسألة هي ما قلت وأكثر. لقد كرست حياتي كلها للبحث العلمي، وها أنذا أراه يطبق في التدمير، وفي التدمير فقط...، لا أريد ذلك. وإذا كنت قد فعلت مافعلته لأهرب من الاميركيين، فإنني أحذرك من أنني لن أكون ذا نفع للسوفييت.

لاأريد معرفة ما أعرفه. أريد أن أصير شخصاً آخر. هل ستسمح لي بذلك؟

ليبنسكي : لا.

نيكولاس : بأي حق؟

ليبنسكي : بدون أي حق .

نيكولاس : ألست سيد نفسي؟

ليبنسكي : لو أنك كنت كذلك ، أكنت تمضي مثلما أنت الآن؟

نيكولاس : أحذرك من أنني مستعد لأي شيء قبل أن أقدم ما أعرفه ليستخدم في قتل آلاف البشر.

ليبنسكي : لكن المستقبل . .

نيكولاس : دع أبناءنا يتكلمون عن المستقبل فالعلم لم يعد في معرفة المزيد وإنما تحول إلى فن جعل الآخرين لايعرفون ما أعرفه . وأنا أرفض ذلك . أطلب إليك مرة أخرى أن تفكر ياكابتن ، وأن تتركني أذهب في حال سبيلي . وأعدك بأن أذهب بمحض رغبتي إلى المعمل الذي يخصص لي عندما يستتب السلام .

ليبنسكي : أنت تطلب مني المستحيل .

نيكولاس : وهل ستلقي على كاهلك هذه المسؤولية؟

ليبنسكي : بين هذه وتلك ، أيهما المسؤولية الأكبر ؟ لاتنس أن المهمة الوحيدة في حياة الشيوعي ، هي النضال في سبيل الشيوعية .

نيكولاس : ولكنني لست شيوعياً .

ليبنسكي : لكنك لا تتفق مع الامبرياليين ، وهذا أمر مهم . هنالك آلاف مثلك ومهمتنا هي جذبكم إلى جانبنا : جعلكم ترون ، جعلكم تدركون أن الموقف العادل الوحيد هو موقفنا .

نيكولاس : يبدو لي أنه لا جدوى من مواصلة النقاش .

ليبنسكي : النقاش مفيد دوماً . أما الان ، **فاتبعني** : سأريك

المكان الذي ستنام فيه .

نيكولاس : أيمكنني أن أرفض؟

ليبنسكي : وماذا سيفيدك الرفض؟

(نيكولاس يتبع ليبنسكي بعد لحظة تردد . يخرجان . في أثناء ذلك يكون الحارسان قدموا .)

الجانب الاميركي :

مريانو : (إلى هيرمان) انظر اليه : إنه زنجي . يمارسون التمييز العنصري ، إنه مواطن من الدرجة الثانية ، من الدرجة الأخيرة . ولابد أنه يعرف أننا ، أو أن الشيوعين يدعون إلى المساواة . ولكنه إذا تلقى أمراً ، أتظنه سيتردد في اطلاق النار علينا أوعليهم؟

هيرمان : لأنه لايعرف .

مريانو : افترض أنه يعرف .

هيرمان : إنها العبودية : الطاعة رغم الإرادة الشخصية . سيستيقظون يوماً .

مريانو : من تلقاء أنفسهم؟ لا تكن واهما . فلكي يرتقوا إلى مستوى وعيك ، أو مستوى لاوعيك ، علينا أن نطوع أنفسنا .

هيرمان : هذا يتطلب منا أن نخاطر بالحظ ، ولعدة قرون ، من وعي عدد آخر أكبر بكثير.

مريانو : لايوجد سبيل آخر .

هيرمان : بل يوجد : عدم الخلط بين الحضارة والثقافة .

مريانو : هذه مجرد ثرثرة مثقفين .

هيرمان : وأنت ، ماذا تكون؟ (ثم فجأة ، وبقلق) هل أصبحت الساعة الرابعة؟

مريانو : أكثر قليلا. (ينظر إلي ساعته) الرابعة والنصف.

هيرمان : سأذهب لأرى إن كان **بامكاني** معهور. عن إذنك.

(ينهض ويخرج من المستوى الأول. يحتل مكانه إلى جانب مريانو.)

مريانو : ألا تتعب من كثرة الذهاب والإياب؟

القس : ليتني أتعب!

مريانو : ألا يمنح الله النسيان؟

القس : أتظن أنه يمكن فهم انتحار انسان لأنه فقد مائة ألف دولار؟ إلى أين يمضي عالم كهذا؟ ماذا يهمه؟ ماذا **يحركه**؟ المال، المال، المال!

مريانو : وماذا تنتظر؟

القس : معجزة. لابد حتما من حدوث معجزة.

مريانو : وإذا لم تحدث؟

القس : لاشيء يستحق إذن عناء... لقد دخل العالم من بوابة زائفة.

مريانو : من بوابة العقل الزائفة.

القس : نعم.

مريانو : (بحدة) وإلى متى ستنتظر معجزتك؟ (ينهض القسى وينصرف. يتبعه مريانو ويوقفه) هنالك ما هو أسوأ من معرفة الداء: أن تعرفه وتتجاهله. أعني، أن تعرف ماهيته ولاتستخدم العلاج اللازم، وهذا هو ما يحدث لك. تعلم انك مالم تستأصله بالمبضع فسيواصل الانتشار وتتركه لماذا؟ أبسبب الخوف؟ لعدم توفر قوة الارادة؟ (مستدركا)

آسف ، نسيت أنك مؤمن بالعناية الإلهية . . .

القس : نعم، و. . .

(يمضي خارجاً حين تدخل مرغريتا، التي تتوجه نحوه باندفاع يقودها القس جانباً إلى المستوى الاول للجهة اليمنى من خشبة المسرح بفنيها يعود مريانو لألى مكانه)

مرغريتا : كنت أعرف أني سأجدك هنا!

القس : ليس في هذا أي سر

مرغريتا : ألا تفكر بالمجيء إلى البيت هذه الليلة أيضاً؟

القس : إنني أمضي حيث الحاجة لى .

مرغريتا : ومن الذي استدعاك؟

القس : لاأحد، والجميع .

مرغريتا : ومن هي اليوم، أشقراء أم سمراء؟

القس : من سيجعلك تعقلين؟ أنت تعلمين جيداً . . .

مرغريتا : أعلم جيداً أنك تهرب مني .

القس : لا.

مرغريتا : كم ليلة مضت دون أن تنام إلى جانبي، مثلما هو واجبك؟ تأتي الى هنا لتهرب مني ولتشم أجساداً أكثر شباباً من جسدى . . . مارتا حامل . ألا تشعر بالخجل لاني مازلت قفراً بعد عشر سنوات من الزواج؟ مريح هذا الذي تفعله في خدمة الآخرين، لتهرب مما هو واجب عليك . . .

القس : أرجوك ارجعي إلى البيت . سأنصرف إلى هناك بعد قليل . لقد مات رجل . . .

مرغريتا : نسيت أنك مدين للموت وليس للحياة. لماذا لم أسمع نصيحة نورا التي قالت ليمرة وألف مرة إنك لست رجلا حقيقيا؟ . . . ليتني أموت لتهتم بي ولو ساعة واحدة !

القس : لاتجدفي.

مرغريتا : أيؤلمك سماع الحقيقة يامن تبشر بها؟ أم انك تظنني لم أنتبه إلى تحكمك بماريا تريسا؟ إنك تعجبك، أليس كذلك؟

لأنها أكثر شباباً مني . . . لكنني سأسحلها أمام الجميع . . .

القس : أرجوك ياامرأة ! . . .

مرغريتا : هلم بنا إلى البيت.

القس : علي أن أتحدث مع الملازم بشأن دفن الميت.

مرغريتا : لديك متسع من الوقت غداً.

القس : لا.

مرغريتا : سأنتظرك هنا.

القس : كما تشائين.

(يمضي للخروج)

مرغريتا : إلى أين أنت ذاهب؟

القس : لقد أخبرتك للتو.

مرغريتا : سأرافقك.

القس : انتظريني إذن عند باب المكاتب.

مرغريتا : مثل كلب، أليس كذلك؟

القس : ماالذي أستطيع تقديمه لك أكثر من هذا؟

مرغريتا : أن تحبني مثلما كنت تحبني من قبل.

القس : ولكنني أحبك يامرغريتا .

مرغريتا : هراء، أعجبك كثيرا من أجل لاشيء . . .
(يخرجان)

غوستاف : وقد سمعتها، إلى آنا) هنئيني .

آنا : في مثل هذا الوقت؟ لماذا؟

غوستاف : لأني لم أتزوج .

في المكتب الأمريكي :

(كان كامانسكي قد دخل قبل لحظة مع تالكوت، وقدم له جواز سفره. يتفحص هذا الأخير جواز السفر، ثم يعيده اليه .)

تالكوت : لقد كانت حياتك آمنة .

كامانسكي : كانت حياتي آمنة دوما، وربما كان هذا هو مكمن الداء . فلو أنني عرفت البؤس لكان من المحتمل أن أبقى . لكن كل امرىء يكون كما صنعته الحياة، وأنا لم أعد أتحمل المزيد . لقد واصلت العمل في تحرير الجريدة، في الموقع ذاته، وكنت أقوم بعمل مماثل للعمل الذي مارسته طوال حياتي تقريبا : أخبار المحاكم .

تالكوت : وهل هذا هو ما جعلك تقرر الهرب؟

كامانسكي : لا . لقد رأيت كثيرا من التعساء في السجن لأنهم سرقوا خبزا في الأزمنة الخوالي، ولن ألين الآن . . . لا، إن ما أثر بي هي أمور أتفه من ذلك بكثير، تافهة لدرجة أنني لم أستطع تحملها . خذ مثلا درج مكتبي . لم أفكر مطلقا في إقفاله طوال خمسة عشر عاما . ولماذا أقفله؟ أما الآن ، فإذا لم أقفله

بالمفتاح، أعرض نفسي للعقوبة. حتى ولو كنت ستخرج من مكتبك لخمس دقائق لقضاء حاجة، عليك أن تقفله بالمفتاح، أحتياطاً من الذباب الامبريالي.
وفي أي ساعة من ساعات النهار أو الليل يمكن أن يأتي مفتشون من الحزب , . . .

تالكوت : هل كنت منتمياً، أو هل أنت منتمي إلى الحزب؟

كامانسكي : منذ نحو عشر سنوات . . . لكنني لا أحتمله وهو في السلطة . . . هذه المراقبة الدائمة، معرفة أنك مراقب، واجب التفوق في العمل، شئت ذلك أم لم تشأ، وأقل ما هنالك في ظهور أسمك في لوحة الجريدة متهماً بالتهاون، ثم اضطرارك إلى مراقبة لسانك . . .، مثلما تراقب درج مكتبك. فيما مضيكنا ندخل إلى الجريدة من حيث يرغب أحدنا: من باب التحرير، من باب المطبعة، من باب التوزيع. أما الآن فلا يوجد سوى باب واحد وعليك أن تبرز تحقيق شخصيتك، مع أن البواب يعرفك منذ عشرين سنة . . . الجميع يراقبون بعضهم بعضاً، الجميع يراقبونك ويراقب الإنسان الآخرين . كنت مسؤولاً عن مجموعة من عشرة أشخاص، وكان علي أن أقدم لسكرتير النقابة كل أسبوع، في ظرف مغلق، ملاحظاتي حول الاشخاص العشرة الذين كانوا من نصيبي. من يتكلم؟ من الذي يجب أن يكون كذا؟

تالكوت : ولكنها أمور ليست ذات أهمية كبيرة.

كامانسكي : ربما هي كذلك إذا نظرت إليها من بعيد. ولكنها عن قرب تغم، تغم. وفضلت أن أبتعد

تالكوت : وماذا ستفعل؟ هل ستخدم في وكالة أنباء؟ ليس عليك هنا أن تقفل الأدراج، ويمكنك أن تضع قدميك فوق الطاولة، إنما عليك أن تكتب حول ما يهم أصحاب الملايين معرفته، ضد من لايملكون شيئاً.

كامانسكي : لن أقول لا، لكنني أنا هو أنا

تالكوت : أليس هنالك ما يستحق التضحية في سبيل الآخرين؟

كامانسكي : بهذه الطريقة هكذا: لايوجد ما يستحق...

تالكوت : هل ستقدم مزيداً من البيانات في هذا الصدد؟

كامانسكي : أظن أنه لم يعد أمامي وسيلة أخرى.

تالكوت : نحن لانضغط على أحد.

كامانسكي : لالزوم لذلك.

تالكوت : (إلى فيلد) اصطحب السيد إلى الفندق. (إلى كامانسكي) سنلتقي غداً طابت ليلتك.

(يخرج فيلد) وكامانسكي.)

الجانب السوفييتي:

الكسندر: العالم؟ وما قيمة العالم؟ ما هو الإنسان؟ إنه قمامة، وإنسانان هما قمامتان، ومائة ألف إنسان، مائة ألف قمامة. كل شيء يتعفن. لايبحثون إلا عن منفعتهم الشخصية. ما الذي يمكن انتظاره من عالم كهذا؟ قذارة، قذارة محضة. أما الريف فشيء آخر...

لودفيج : أتكره الإنسان؟

الكسندر : طبعا الإنسان غلطة. فالعالم خلق للأشجار.

لودفيج : لاأدرى لماذا أنت كثير الشكوى، كما لو أنك كنت تملك الفردوس فيماضي.
دائما تبكي، وكأن هذا هو الجحيم! هل كنت أمورك جيدة إلى هذا الحد؟
كنت فلاحا، وما زلت فلاحا. فلم تشكو؟ ألا أنك ستواصل العمل؟ ما الذي كان يجري من قبل؟ ألم يكن لك أسياد؟ استبدل بعضهم ببعض آخر. وما الفرق لديك؟ سيزيد عملك بالمحراث أو الفأس ساعتين أو أربع ساعات كل أسبوع، وماذا سيتبدل؟ المهم هو الحصول على مزيد من النقود. امتلاك نقود كثيرة حتى يأكل المرء ويشرب ما يشتهيه، سواء مع هؤلاء أو مع أولئك.
وما عدا ذلك ليس إلا حماقة.

الجانب الأمريكي:

(يدخل غابار) وموستروفيتش، وهما يتناقشان.)

غابار : تريدون بشرا لاتشوبهم شائبة. معجزات. لاتتساهلون مع مظاهر الضعف. تشيدون بلا إنسانية، من أجل إنسانية كاملة. لاوجود لها إلا في أمانيكم. حين تعرضون العالم الشيوعي، تختفي جميع العيوب البشرية. ولاتنس يا موستروفيتش أننا جميعنا بشر. لماذا التضحية بهذا الجيل في سبيل جيل آت؟ لماذا؟ ألسنا بشرا مثلهم؟ هذا مناسب لمن يؤمن بعالم آخر فيما وراء الموت. أما نحن؟

لماذا؟ لكي نمضي بسرعة أكبر؟ أنؤمن بالتقدمأم لا؟ نعم، دون شك. العالم يتقدم منذ ملايين السنين، منذ مئات السنين. وفي كل مرة ــ ولندع المزاح جانباً ــ تصبح الحياة أفضل. وفي يوم ما ـ بالشيوعية أو بأي شيء آخر ــ ستنتهي الحروب، وسيصبح الجميع معمرين، والجميع سيستمع بإعجاب إلى بتهوفن. فإذا كنا واثقين من هذا، لِمَ التضحية بأجيال كاملة؟ فلنمض خطوة خطوة، دون سحق ودون تعسف. ما الذي تعنيه مائة سنةفي حياة الكون؟ لماذالا نتفاهم على هذا الاساس؟ لماذا التضحية بأناس وأناس كثيرين في سبيل تعجل الأمور؟ لماذا كل هذا التشدّد، وكل هذا الحقد للوصل إلى حل سريع لمشاكل ستجد مخرجها الطبيعي؟ أهو عدم ثقة بأهدافكم، التى هي أهدافي؟ لست أدافع بأي حال من الأحوال عن الإبقاء على وضع راهن مبتذل، ولا عن المصالح القائمة، ولكنني **لن أوافق مطلقا على التضحية بالجيل الحالي من أجل خلق وضع أفضل للأجيال الآتية**، ولن أشارك في هذا الجنون العجيب الذي يجعل البشر الآن ضحايا أنسانية نظرية، ويجعل هذا العصر ضحية للمستقبل الذى سيكون بدوره ضحية لعصر آخر يتلوه. لا، وإنما الرضى بالتحسينات القابلة للتطبيق على الوضع الراهن، الملائمة للبشر الحاليين. فوضع الهدف النهائي للحركة السياسية خارج زمننا،

يحكم علينا بالثورة الدائمة . وهذه معادلة لاتروقك يا موستروفيتش . إن طغيان من سيولدون ليس أقل قسوة من طغيان من مضوا، وهذه النزعة التقليديةالمعكوسة تتحول أخيرا إلى عبء ثقيل مثل سابقتها . إن المعيار الحقيقي للتقدم هو في تهيئة جيل اليوم من أجل جيل الغد، وليس في أستخراجه بالقوة من العدم . على البشر أن يعيشوا من أجل جيلهم، دون التضحية به في المحرقة تقربا لإله آلاف السنين أو في سبيل الأمل بمجيء المُخلِّص .

موستروفيتش : هل انتهيت؟

غابار : لم أفعل شيئا سوى أني بدأت . ما الذي سيقال غدا عن انسحاب المحاربين اليونانيين؟ أنتم تبررون ذلك بأنكم تلعبون كل شيء بورقة الثورة في بلد واحد، معتقدين أن هذا البلد سيصبح القاعدة الراسخة للثورة العالمية . وإذا أخطأتم؟ إنكم تخنقون باسم هذه النظرية أي أعتراض ثوري، سواء أكان داخليا أو خارجيا . وإذا ما أخطأتم؟ أتظن أنه يمكن اللعب هكذا مع ثوريين حقيقيين؟

موستروفيتش : كان لابد من الاختيار . (يبتسم) لاأظن أن القرارات اتخذت بطيش .

غابار : أحد الاسباب التي دفعتني لقبول الدعوة إلى مؤتمر لينينغراد هو تبادل الحديث معك . والآن ، وقد اتتنى الفرصة، وهل تظن انه على أن أواصل

رحلتي، أو أن أتذرع بأية ذريعة وأعود إلى باريس؟

موستروفيتش : لست أدرى بم أجيبك.

غابار : هل يمثل ذلك أى ضرر بالنسبة لك؟

موستروفيتش : لا أظن. (يبتسم) بل على العكس، فأنا أراك تمضي في أسوأ سبيل..

غابار : لاتقلق، لن انضم إلى الرابطة التروتسكية.

موستروفيتش : أعرف ذلك. تريد أن تبقي مستقلا. لكنك ستخدمهم. سيستفيدون منك. منك أنت يامن قلت إن الصمت خيانة. ومع ذلك، حين كان بلدك مقهوراً، وعندما ألغى فيشي مؤتمراً كان الجميع ينتظرون منه طريقاً أو بارقة ضوء، أعلنت أنت أنها ساعة الصمت، الصمت، الصمت...

غابار : لن تكون أنت، المعتاد على الامتثال لكل التقلبات الاستراتيجية، من سيواجهني بقول "ألف" و"باء" يوم آخر.

موستروفيتش : لكنني لست بطل الأمانة الثقافية... ولا أريد أن أخلط حقيقتي بالحقيقة... فالرغبة في تقديم للآخرين لن يقود الى أي مكان.

غابار : وخصوصاً إلى موسكو.

موستروفيتش : إذا شئت... ولكن لاتنس أن العالم يتقدم بقدر ما يتفق البشر، وليس بقد ما يختلفون.

غابار : وهذا قابل للمناقشة أيضاً

موستروفيتش : لكن الوقت صار متأخراً. عليك أن تقرر.

غابار : سأرجع .

موستروفيتش : آسف من أجلك .

انريك : (يخرجان)

(إلى سوزان) يتكلمون لمجرد الكلام . لايعرفون من

سوزان : الصلاة نصفها .

تكلم أنت ، وقل شيئاً ، فهذا هو الشيء الوحيد

انريك : الذي يحسن حالتك .

ولماذا تكرار ما يعرفه الجميع ؟

في المكتب الأمريكي :

(دخل هيرمان خلال المشهد السابق ، وقدم إلى تالكوت أوراقا تفحصها هذا الأخير .)

تالكوت : زوجتك مواطنة سوفيتية ؟

هيرمان : نعم .

تالكوت : هل هي منتميـــة أو أنتسبت فيما مضى إلى الحزب الشيوعي ؟

هيرمان : (بعد تردد .) كانت منتمية .

تالكوت : في مثل هذه الظروف لايمكننا قبولها في منطقتنا .

هيرمان : أجاد أنت ؟ (تالكوت لا يجيبه) هذا غير ممكن !

تالكوت : أنت تستطيع التوجه إلى فرانكفورت دون صعوبة .

هيرمان : دون زوجتي ؟

تالكوت : بكل تأكيد .

هيرمان : في ظل ظروف كهذه لايهمني الذهاب .

تالكوت : إنك شديد الثقة بنفسك .

هيرمان : ألا تفهم أنها زوجتي ؟ إنني أحبها ! ونريد الذهاب معاً إلى أمريكا الجنوبية !

بأي حق تمنعونا؟

هاركنز : (من وراء طاولتـه) المهم هو أنها شيوعيـة أو كانت شيوعية.

هيرمان : أهي وصمة؟

هاركنز : ومعدية.

هيرمان : لا أستطيع أن أصدق . . . ليس لأنهم لايصرخون بذلك في كل اللهجات هنـاك . . . وهل هذه هي جعجعة الحرية الامريكية؟

هاركنز : اسأل زوجتك إن كـانـوا يسمحـون بـدخـول المناهضين للشيوعية إلى جانب الآخر . . .

هيرمان : سوء البعض لايصلحه سوء الاخرين! ماذا تنتظرون ؟ أن نرضى بكلمتكم أو بكلمـة أولئك؟ أن نطبق شفـاهنا نحـن من نملك لسانـا؟ لم يكن هنـالك سبب آخر لرغبتي في الخروج من هناك . . .

تالكوت : آسف ، ولكن . . .

هيرمان : أليس لي الحق حتى في الاعتراض هنـا ، في بلدي؟ أتظنـون أنكم قـد وضعتم لجامـاً على فم الجميع؟ كممتم الأفواه بالدولارات؟

تالكوت : لاتردد شعارات الجانب المقابل .

هيرمان : أتخشـون من وجـود زوجتي ، لاني بلـدكم ــ فأنـا أهديكم إيـاه ـ وإنها وسط معسكر أمة حـرة؟ ماذا تـريـدون؟ أن يعيش النـاس صم بكم ، معطلـو الحواس؟

تريدون عالماً من المنـافقين؟ تريدون من الجميع أن يقيدوا ألسنتهم بأغلال؟ لن تستطيعوا . . . مازال

هنالـك الاف والاف البشر الذين يرفضـون العيش مثلما تـرغبون ومثلما يأمـر أولئك (يشير إلى المكتب السـوفييتي) هنـاك لايخدعـون أحـداً على الأقل ، يعترفـون بـانهم يعيشون نظـامـاً دكتـاتوريـاً . أمـا أنتم . . . إنهم يعرفون ما يريدون، والقمع عندهم موجه من أجل هـدف محدد لايخدع إلا من يريدون خداع أنفسهم . أما قمعكم فهو قمع أحمق، يقف ضد المبـادىء ذاتها التي تتبجحون بحمايتهـا . من سيتبعكم في طريق الـزيف هذا؟ ترفعـون بأيديكم راية جميلة، بينما أنتم ترتعدون خوفا .

تالكوت : خذ جواز سفرك ولترضَ بالوضع . .

هيرمان : لن أرضى ولا أريـد أن أرضى . لست بحـاجـة إلى أجهزة تقويـم العظام المشوهة .

تالكوت : إنها التعليمات

هيرمان : أتعرف ما الذي أفعله بها؟

تالكوت : لاداعي لاخبـاري بـذلك . تفضل (يمد لـه جـواز لسفره .)

هيرمان : أوراقي؟ انظر ما الذى أفعله بها!
(يمزقها)

تالكوت : ما الذى ستفعله الآن .

هيرمان : سأشعـر بأنني حـر! حـر للمـرة الأولى منـذ نحـو عشرين سنـة! إنني انسانـولست دودة! لست من ورق، ولا من كـرتون، وليـس بي رغبة للمـرورمن الغربـال الذى تنظـرون من خـلاله إلى البشر مثلما ترغبون . . . وألمانيا ليست الكاريبي بعد . . .

(يخرج غاضباً.)

تالكوت : (يعلق) لو أنه يعلم أن الكاريبي مشاكلة أيضاً . . .

هاركنز : لن يذهب بعيداً. سيعود وذيله بين ساقيه. إنني أتساءل أحياناً: من أين تأتي بكل هذا الصبر.

تالكوت : بين الحين والآخر أضع نفسي مكانهم . . .

هاركنز : إنك في ورطة . . .

(ينهمكان في العمل.)

الجانب السوفييتي:

امرأة عجوز مشعثة الشعر، كانت تقبع فوق البراميل، تنهض فجأة وتبدأ الكلام بنبرة واعظة، تشد إليها أنظار الجميع.)

إما : لأن غضب الرب ظاهر ضد كل زندقة وجور البشر الذين يحجبون الحقيقةبالظلم.

ولأن أشياءه اللامرئية صارت مرئية منذ خلق الدنيا، ومفهومة من خلال ما خلق، فلم يعد هنالك من عذر لأحد.

ولأنهم عرفوا الرب فإنهم لايمجدونه على أنه الرب.

يدعون أنهم حكماء وليسوا إلاحمقى مستكبرين.

وقايضوا مجد الرب المنزه ومثلوه على صورة انسان قابل للفساد، وصورة طيور وبهائم ذا ت أربع قوائم، وصورة حيات.

لذلك سلمهم الرب أيضاً إلى الرجس. قلبوا حقيقة الرب كذباً، بتبجيلهم وخدمتهم

للمخلوقات قبل الخالق، تبارك اسمه إلى أبد الأبدين، آمين.
لذلك أسلموا أنفسهم لأعمال شائنة، وحتى النساء تحولن إلى طبيعتهن إلى الشذوذ
وتخلى الرجال عن النساء، وهاجوا في استئثار بعضهم بعضاً، مقترفين الخبائث: رجال مع رجال.

الجانب الأميركي:

انريك : (ما أن يسمع إما حتى يحاول الفرار. فتوقفه سوزان.) ألا ترين؟ دعيني! ألاترين أنني لن أستطيع النسيان أبداً؟

سوزان : (توقفه، تداعبه، وتجبره على البقاء.) إنني لك...، لك.

الجانب السوفيتي:

إما : إنهم شهودعلى كل جور، وزنى، وإثم، وبخل، وشرمفعمين بالحسد والقتل والخصام والخداع والخبث، نمامين، مغتابين، كارهين للرب، سبابين، متعظمين، مستكبرين، مبتدعي شرور، عصاة لوالديهم، حمقى، غدارين، بلا عاطفة طبيعية، عديمي النزاهة، شرسين لايرحمون... فانهم لايكتفون بعمل كل ذلك وحسب، بل ويتسامحونمع من يفعله...
(أثناء نطقها العبارات الأخيرة، يخرج من المستوى الثالث ليبنسكي والحارس السوفييتي، فينزلان

" إما " عن منبرها المرتجل ويقـود انها بالقوة . يكسر الصمت صوت طفل .)

الطفل : لماذا يأخذاها يا بابا؟

الأب : أنها مجنونة .

الطفل : ولماذا هي مجنونة يابابا؟

الأب : لأنها تردد عبارات من الكتاب المقدس يابني .

الطفل : وما هو الكتاب المقدس؟

الأب : كتاب قديم، كتبه اليهود ليقولوا إن الرب هو الذي خلق الدنيا .

الطفل : وهل كانوا مجانين يابابا؟

الأب : (متضايقـا لأن الناس المحيطين بـه أخذوا ينظـرون إليه) نعم، و اصمت الآن

الطفل : ومن هو الرب؟

الأب : لاأحد . نم وكفى ازعاجا .

الجانب الاميركي :

(في أثنـــاء يكـــون القس قـد دخـل إلى المكتب الاميركي . وتقـدم مع تـالكـوت إلى النافـذة ليريـا كيف يأخذون " إما " .)

القس : إذا كـــان الإيمان سيبعث في أحـــد الجانبين، فلن يكون في جـانبكم، حيث نصف الناس ملحـدين والنصف الآخر صهر معتقداتـه الغيبيه مع أمواله . إذا كان للـدين أن يزدهر يومـا كما يجب، فسيكون هناك الجانب الآخر حيث النقاء والألم يغذيانه .

تالكوت : يبدو لي أنك تبالغ يا أبتاه .

القس : أنت حر فيما تفكر. هل وصلت إلى حل بشأن إلتماسي؟

تالكوت : ليس بعد.

القس : ألن تسمحوا لي بالذهاب إلى الجانب الآخر؟

تالكوت : لاأعرف يا أبتاه.

القس : لكنني سأذهب، في جميع الأحوال...

تالكوت : تحمل النتائج.

القس : طابت ليلتك.

(يخرج)

في كلا الجانبين

لودفيج : ولكن، ما الذي تفعله هنا إذن؟

هانز : هذا هو سري.

لودفيج : أي سر وأي هراء! ما الذي تفعله؟

هانز : أرى ما يفعله الآخرون.

غريتا : ويسمون أنفسهم رجالا!

هانز : (إلى غريتا) لا تقلقي يا سيدتي، سيأتي يوم نذهب فيه أنا وأنت إلى الرقص.

غريتا : ألا تخجل من مثل هذا الحديث وأنت في هذه السن؟ كان عليك أن تكون في عملك...

هانز : كان عليّ...

غاريتا : وماذا تنتظر؟ ماذا تريد أن تكون؟

هانز : (بتفخيم) أنا؟ حياً...

(يمر قطار، وقبل أن ينطفيء ضجيجه، تُسمع صرخة مفجعة. الجميع يصابون بالذعر،

فينهضون، ويتجمعون عند حافة الرصيف، في مواجهة الجمهور، وعيونهم موجهة إلى الجهة اليسرى. وأثناء هذا المشهد يبدأ الجميع بتحويل أنظارهم إلى الجهة اليمنى، ملاحقين بعيونهم حَمَلَة محفةٍ وهميين يحملون جثة المنتحر)

انريك : (إلى سوزانا) لا تنظري!

طفل : لقد سحق. هل مات؟

لودفيج : (إلى هانز) تحول إلى عجينة! لا بد أنهم جمعوا أشلاءه بمِجْرَفَة.

هانز : من هو؟

غروملوف : إنها امرأة. لقد رأيتها عند نهاية الرصيف.

الرجل البدين : (إلى غروملوف) لماذا لم تمنعها من إلقاء نفسها؟

غروملوف : كنت خارجاً من المرحاض...

غريتا : الانتحار الثالث خلال ثمانية أيام...

غاسبار : أي عالم هذا!

لويسا : ومن هي؟

غاسبار : لا أعرف (إلى هانز) من هي؟

هانز : (إلى لودفيج) من هي؟

لودفيج : لست أدري. فنحن كثيرون.

غريتا : هكذا سينتهي الجميع. أما من سيبقون، فسأتي يوم تخرج فيه القطارات عن مسارها وتصعد إلى الأرصفة لتسحقهم.

(جميع الحاضرين يتململون وتتصاعد همهمة متوعدة).

هيرمان : (إلى الداخل) ماريا! ماريا!

ماريا : (خارجا من الجانب السوفييتي، معمومة). إنني هنا يا هيرمان!

(يدخل هيرمان راكضا من المستوى الأول، مصطدما بتالكوت وهاركنز وفيلد الذين يدخلون بدورهم).

فيلد : إلى الوراء! الجميع إلى الوراء!

(يدخل من الجانب الوفييتي ومن البعد الأول كذلك، كل من كوفاك وبوريبنوف).

كوفاك : إلى الوراء، الجميع إلى الوراء!

(يتراجعون على مضض أمام حركات العسكريين وأصواتهم الآمرة. يكافح كل من هيرمان وماريا من أجل أن يلتقيا، لكنهم لا يتركوهما. أجواء تمرد وثورة تخيم على الجميع. يظهر الحراس ويصوبون أسلحتهم).

هاركنز : تفرقوا! تفرقوا! هيا!

كوفاك : إلى الوراء! إلى الوراء! والا سنطلق النار!

غريتا : (إلى القس. وأنت، لماذا لا تصرخ، لا تحتج، لماذا لا تقول هم الحقيقة؟ أكاد لا أصدق أنك حبر من أحبار الرب!

القس : (يتراجع مهزوما مع الآخرين). أكاد لا أصدق.

غريتا : إنك جبان.

القس : (منفعلا) لقد قلتها أنت يا امرأة.

(يهز تالكوت الذي يدفعه، فينتقل إلى المستوى الأول ويأخذ في الصلاة، ناظراً إلى حيث يجب أن

يكون حملة المحفة وجثة المرأة. يريد فيلد أن يرجعه إلى الوراء).

تالكوت : (لفيلد) دعه...

مريانو : (إلى تالكوت) طبعاً، هذا يكفي...
(يتمتم الكاهن بصلاته، بينما يواصل العسكريون دفع الآخرون بقسوة، ويغطي اللغط في أحيان كثيرة على ما يقوله).

القس : رباه، ارحم عبدك الخاطيء.
خذه إلى كنفك...
أستغيث بصلاتي وأرفع صرختي.
بسبب صوت العدو،
بسبب جور الكافر،
لأنهم ألقوا علي الوزر،
وتوعدوني بصلف.
قلبي موجوع في داخلي،
وأهوال موت سقطت علي،
ولفني الرعب.
وقلت: من يمنحني جناحين مثل جناحي حمامة!
لأطير وأستريح.
لأهرب بعيداً:
أحيا في الصحراء،
لأسرع بالفرار
من الريح العاتية ومن العاصفة...
وأنت يا رباه! ستنزل أولئك إلى القبر بعد حين،
أولئك البشر الدمويين والمخادعين

لن يهربوا من يومهم الموعود
الرحمة بعبدك الخاطيء، الرحمة، الرحمة...

فيلد : إلى الوراء! إلى الوراء جميعا!

كوفاك : إلى الوراء! إلى الوراء جميعا!

غريتا : (إلى تالكوت) من هي الميتة؟

تالكوت : لا أعرف. إلى الوراء، إلى الوراء من فضلكم.

السيدة فرنكيل : (تدخل صارخة). أخبرنا من هي.

تالكوت : أجهل ذلك، فقد ألقت بنفسها في المنطقة السوفيتية.

السيدة فرنكيل : ربما كان ابني!

هاركنز : لا تسألوا مزيداً من الأسئلة. إلى الوراء!

السيدة فرنكيل : أية حرية هذه؟

مريانو : (إلى تالكوت) حرية؟ أين سمعت هذه الكلمة؟

بوربينوف : (أمام لودفيج الذي لم يتحرك من مكانه) ألم تسمع؟ أأنت أصم؟ إلى الوراء!

لودفيج : هذا المكان لي! إنه أفضل مكان. لقد كلفني الحصول عليه خمسة عشر يوماً!

بوربينوف : وسيكلفك فقدانه دقيقة واحدة يا رفيق. إلى الوراء جميعكم! أخلوا المكان! بسرعة!

(يتمكن العسكريون من إخلاء المكان تقريبا. يخرج القس وراء الآخرين وكأنه يتبع الجثة. بقي هانز وحده في مكانه، مختبئا بين بعض حزم الأمتعة ومتدثراً ببطانيته. ليبنسكي في المكتب السوفييتي يدير ذراع الهاتف، فاقد البصر لأنهم لا يردون عليه. يرن الهاتف في المكتب الأميركي بلا توقف.

خرج هاكنز الذي سمعه من المستوى الأول ودخل إلى مكتبه. يرفع السماعة. يتكلم مع ليبنسكي بينما يتمكن العسكريون الآخرون بصعوبة من إخلاء كلا الجانبين. فتُسمع المحادثة الهاتفية بوضوح).

هاركنز : امرأة. أهي من جانبكم؟

ليبنسكي : سنقوم بالإحصاء، لكنني لا أعتقد.

هاركنز : ألقت بنفسها عند نهاية رصيفكم.

ليبنسكي : ربما تسللت خلسة إلى هناك بين خطوط السكة الحديدية ولكنها ما كانت ستتمكن من الذهاب أبعد من ذلك، لأن الأنوار الكاشفة كانت ستكشفها. وربما انتحرت لهذا السبب. اللهم إلا إذا كان حادثا.

هاركنز : إنه حادث على أية حال.

تالكوت : (من الخارج، عبر النافذة، لهاركنز). اسأله إذا كانوا قد قبلوا دخول من قالت إنها زوجة الطيار.

هاركنز : (في الهاتف) انتظر لحظة. (ينظر في بعض الأوراق). لم نسمح بدخول امرأة تحمل جواز سفر باسم إيلينا هومبوري. هل عادت إلى منطقتكم؟

ليبنسكي : لا.

هاركنز : قد تكون هي.

ليبنسكي : هذه مشكلتكم.

(يخرج تالكوت من المستوى الأول).

هاركنز : لا، نحن لم نقلها.

ليبنسكي : نحن منحناها تأشيرة خروج. وأنت تدرك أنه من

المستحيل علينا الآن اعتبارها ميتة .

هاركنز : بما أنها لم تدخل إلى منطقتنا ، لا يمكننا تحمل مسؤولية هذه الجثة . لحظة .

(يدخل الحارس الأميركي إلى المكتب ، ويقدم ورقة لهاركنز. يخرج عند دخول تالكوت) . إنها هي .

ليبنسكي : لا مشكلة لدينا إذن .

(يضع السماع ويخرج) .

هاركنز : (لتالكوت) . ماذا نفعل؟

تالكوت : (متضايقاً) نعلقها على الحاجز، هناك في الوسط .

هاركنز : لسنا بحاجة إلى النكات . يقولون إنهم منحوها تأشيرة خروج ، وإنهم لا يقبلون الجثة .

تالكوت : أصدر أمراً بإلقائها من فوق السياج ، عبر فناء البضائع .

هاركنز : ألا تكفينا مشاكل الأحياء ليأتينا الأموات الآن بمشاكلهم!

تالكوت : (من الذاكرة) . " ودع الكلاب والطيور الكواسر تلتهمها . . . "

هاركنز : (تدهشه النبرة الخطابية) ماذا تقول؟

تالكوت : أتعتقد بأن البشر قد خُلقوا للحب أم للكراهية . . . ؟

هاركنز : كفى هراء! ماذا أفعل؟

تالكوت : تقرير. . .

هاركنز : تقرير. . . تقريرا! ملف ، وملف آخر. كل شيء يحل بتقارير لا حل لها .

تالكوت : هكذا وجدت هي الحل . . . صارت تقريراً . . .

وهـذا مـا بقي . . . لقـد أعجبتني هـذه المرأة . . . هلم بنا لنتناول كاساً!

هاركنز : أخيرا أسمعك تقول قولاً حكيماً . هيا بنا . (يخرجان) .

الجانب الأميركي :

فيلد : ماذا تفعل هنا؟

هانز : لا شيء .

فيلد : ألأنت أصم؟

هانز : لا، الحمد لله .

فيلد : لدى أوامر بإطلاق النار، تحرك، انصرف . . .

هانز : لا أستطيع .

فيلد : هذا ما سنراه الآن . . . هيا تحرك!

(يهزه، يشده، يهدده بهراوتـه . لكنه ينتبه إلى هـانز مبتور الساقين) .

فيلد : (بنبرة أخرى) إلى الخارج . . .

(يدفع هانز عربته مستنداً على يديه ويخرج، ويتبعه فيلد) .

في كلا الجانبين :

(خشبـة المسرح خاليـة . تظهر مـاريا راكضـة من الجانب السـوفييتي، ويظهـر هيرمـان من الجانب الأميركي . الفجر آخذ بالبزوغ) .

هيرمان : هذه هي الفرصة المناسبة!

ماريا : لا فائدة . . .

هيرمان : تمسكي بإيمانك، اقفزي .

(تقفز ماريا الحاجز بمساعدة هيرمان) .

ماريا : سيقبضون علينا.

هيرمان : فلنحاول على أية حال...

(يخرجان راكضين من الجانب الأميركي. تسمع من بعيد وقع خطوات منتظمة لجنود يقتربون. يبقى المشهد مقفراً للحظة. يعود كل من ماريا وهيرمان إلى الظهور من حيق خرجا، هاربين).

ماريا : لقد قلت لك إنه مستحيل!

هيرمان : المستحيل هو ألا يكون ثمة مخرج!

ماريا : أين المفر؟

(خطوات الجنود تقترب أكثر فأكثر، مدوية كالطبول).

هيرمان : من هناك، عبر بهو المقاعد!

(يشير إلى بهو الكراسي ذات المساند، يخطوان بضع خطوات باتجاه الكواليس. في هذه اللحظة يظهر الحارس الزنجي من المستوى الثالث، ويطلق عليهما من بندقيته الرشاشة. يكون هيرمان قد قفز إلى بهو المقاعد. أما ماريا فتصاب بجرح).

هيرمان : (يائسا). تعالي!

ماريا : لا أستطيع.

هيرمان : بل تستطيعين.

(يظهر الحارس السوفييتي، لكن هيرمان يكون قد تمكن من سحب ماريا، ويختفي حاملاً إياها بين دراعيه. هكذا المشهد الخاطف غير متوقع ويجب ألا يكون هناك تدرجاً يجعله وتوقعاً. يدخل الجنود

الآخرون . تالكوت وهاركنز وفيلد من الجانب الأميركي، وليبنسكي وكوفاك من الجانب السوفييتي.
(ثم يدخل الآخرون جميعهم شيئاً فشيئاً).

غاسبار : لن يفلتوا.

القس : لماذا؟

تالكوت : (آمراً حراسه). حاصروهما! بسرعة!

بوربينوف : (لرجاله) طاردوهما! (إلى كوفاك) أرسل اشعاراً بالهاتف!
(يخرج كوفاك والحراس)!

مريانو : (إلى غريتا) سيتمكنان من الفرار.

غاسبار : (متدخلاً) لا أظن.

مريانو : إنهما شابان.

غاسبار : وماذا؟ هل لا يؤثر الرصاص في الشباب؟

القس : نعم، حتى ولو كنت لا تصدق.

غاسبار : لن تتأخروا كثيرا في سماع دفعة من الرصاص.

الخراط : ربما لا يحدث ذلك. أم انك تظن أنه لا يمكن العيش إلا بالاذعان؟

غاسبار : في هذه الأيام، نعم.

الخراط : كذب.

غاسبار : ولكن...

غريتا : (صارخة بهستيريا). اخرسوا!
(ينصاع الجميع وينصتون ناظرين بلهفة نحو الجمهور. صفير قطار طويل حاد يكسر الصمت.

بعد ذلك يدخل حارس أميركي، ويدنو من هاركنز).

الحارس أميركي : لا أثر لهما في أي مكان.

(يقوم هاركنز بحركة استياء ويخرج مسرعاً، يتبعه الحارس).

الخراط : لقد تمكنا من الفرار.

غاسبار : وإلى أين سيذهبان؟

الخراط : مازال هناك كثيرون غير راضين عن هذا الحال.

(يعلو صوت الرصاص ليطغي على جميع الأصوات الأخرى).

غريتا (صارخة). ماذا نفعل؟ (إلى الذين في الجانب السوفييتي) ماذا تفعلون؟

(يدخل حارس إلى الجانب السوفييتي، يقف متأهبا أمام ليبنسكي. الجميع يصغون بقلق).

ليبنسكي : ماذا؟

الحارس سوفييتي : لا شيء يا سيدي الملازم.

الخراط : تمكنوا من الفرار.

(صمت. ينطلق صفير قطار جديد، ومن مكان أبعد في هذه المرة، ثم يتلوه صفير آخر، أكثر بعداً. الجميع دون حراك. ينزل الستار).



الفهرس

المترجم : صالح علماني ، يعمل في الترجمة منذ فترة . ترجم حوالي ٢٠ كتابا تشمل روايات ومسرحيات وأشعار وأبحاث في النقد الأدبي كلها عن الاسبانية . اضافة الى بعض المقالات المنشورة في المجلات العربية .

المراجع : د . محمود السيد علي من مواليد ج . م . ع . يعمل أستاذاً مساعداً للأدب الاسباني بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وضع أول قاموس عربي اسباني حول المصطلحات التخصصية للاجتماعات والمؤتمرات الدولية ، نشر عدد من المقالات حول الثقافة والأدب الاسبانيين في المجلات العربية ، صدر له مؤخراً «قواعد اللغة الاسبانية» للدارسين العرب .